



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفني
الإدارة المركزية
لشئون الكتب

على مبارك

رائد النهضة الحديثة

١٨٩٣ - ١٨٢٣

للمصف السادس الابتدائي



تأليف

محمد صلاح فرج



نهضة مصر
للنشر

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم والتعليم الفني



تقديم

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم.. وبعد...

ففى حياة كل أمة علماء بارزون، وقادة موهوبون، وأدباء مبدعون، ومصلحون مشهورون، ممن أعدهم الله ليكونوا قدوة طيبة، ومصباحاً منيراً لكل من ينشد حياة طيبة آمنة لنفسه، ورقياً وازدهاراً لوطنه وأمته. ويسرنا أن نقدم لأبنائنا – تلاميذ الصف السادس الابتدائى – كتاباً تضىء صفحاته بسيرة ابن بار من أبناء مصر العربية، وعلم بارز من أعلام نهضتها الحديثة، ورائد مخلص فى مجال العلم والتعليم، ألا وهو (على مبارك) الذى عاش حياة حافلة بالعمل الجاد، غير عابئ بما يصادفه من عقبات، عطاؤه متجدد على مر الزمان، تقدمه لأبنائنا ليكون لهم مثلاً أعلى فى قوة الإرادة، وصلابة العزيمة، والسعى الجاد من أجل تحقيق الهدف الأسمى، والمستقبل المنشود.

والحق أن على مبارك شخصية جديرة بالدراسة فقد اجتمعت فيه مقومات قل أن تجتمع لسواه وتوافرت له صفات لا توجد إلا فى العباقرة الأفاضل.

وقد تم إعداد هذه الطبعة المدرسية إعداداً تربوياً يلائم المرحلة العمرية للتلاميذ من حيث سهولة الأسلوب، ووضوح الأفكار، وبيان معاني المفردات.

وقد جاء الكتاب في ثمانية فصول مقسمة على فصلين دراسيين، ويعقب كل فصل عددٌ من التدريبات المتنوعة، وعلى مستويات متدرجة، تقيس الفروق الفردية، وتنطلق بالتلميذ إلى التفكير والمناقشة، وتعميق المهارات اللغوية، وقياس القدرات العقلية، كما حرصنا على أن تكتمل الفائدة بوضع تدريبات شاملة في نهاية الكتاب لتكون عوناً لأبنائنا على فهم واستيعاب ما سبقت لهم دراسته.

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب لتلاميذ الصف السادس نرجو الله أن يكون محققاً لما سعيينا من أجله بإعداد جيل قوى قادر على التفكير والعمل، يستطيع مواجهة التحديات، وتجاوز العقبات، حتى يرقى بنفسه ووطنه إلى ما فيه الخير والتقدم والازدهار.

والله من وراء القصد، وهو الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

مستشار اللغة العربية سابقاً

محمد البدوي أحمد القرشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه صورة مشرقة لحياة بطل عظيم من أبطال مصر، قاد شعبه نحو النور والتقدم، وتحمل في سبيل ذلك مشاق ومتاعب لا يتحملها كثير من الناس، ومضى يشق الصخر بأظافره الحادة، ويدفع ب صدره العوائق التي تصده، حتى استقام له ما أراد، واستوى على قمته. ولم يكن له من سلاح إلا سلاح العلم تسلح به ثم نشره بين أبناء الشعب وصبر على ذلك حتى ظهرت ثمار ذلك نهضة حديثة عمّت أرجاء البلاد، وآتت أكلها في كل مكان واستحق بذلك أن يكون رائد النهضة الحديثة في مصر الغالية.

وبالله التوفيق...

المؤلف

الفصل الأول

عائلة المشايخ

فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ عَلَى الْكَبِيرِ كَانَ الْحُكَّامُ يَفْرُضُونَ
الضَّرَائِبَ^(١) الْبَاهِظَةَ^(٢) عَلَى الْفَلَاحِينَ، وَمَنْ^(٣) يَتَأَخَّرُ
عَنْ تَسْدِيدِ هَذِهِ الضَّرَائِبِ يُجْلَدُ وَيُهَانَ^(٤)، وَيُلْقَى بِهِ فِي
السَّجْنِ.

وَكَانَ الْفَلَاحُونَ الْفُقَرَاءُ الْعَاجِزُونَ عَنْ دَفْعِ
الضَّرَائِبِ يَفْرُونَ مِنْ بَلَدِهِمْ تَارِكِينَ أَرْضَهُمْ خَوْفًا مِنْ
الْجَلْدِ وَالسَّجْنِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى بَلَدٍ لَا يَعْرِفُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ،
وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ يَدُ الْحَاكِمِ الظَّالِمِ.

(١) الضرائب: مفردها: الضريبة وهي: ما يفرض على الأملاك والعمل والدخل للدولة.

(٢) الباهظة: الشاقة.

(٣) من: اسم موصول بمعنى الذي.

(٤) يهان: يذل.

وَفِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مُدِيرِيَّةِ الدَّقْهَلِيَّةِ، تُسَمَّى «بِرَنْبَالِ
الْجَدِيدَةِ» اسْتَقَرَّتْ فِيهَا أُسْرَةٌ عَلَى مُبَارَكٍ بَعْدَ فِرَارِهَا
مِنْ قَرْيَتِهَا الْأُولَى «الْكُومِ وَالْخَلِيجِ» عَلَى بَحْرِ
طَنَاحٍ، وَقَدْ طَابَتِ الْحَيَاةُ لِأُسْرَةِ عَلَى مُبَارَكٍ فِي
«مَقَرِّهَا الْجَدِيدِ» وَكَثُرَ عَدُّهَا حَتَّى قَارَبُوا الْمِائَتَيْنِ،
وَعُرِفُوا بِاسْمِ عَائِلَةِ الْمَشَايخِ فَقَدْ كَانَ فِيهِمُ الْمَشَايخُ
الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ وَشَيْئًا مِنَ
الْعِلْمِ الدِّينِيِّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْقَرْيَةِ.

وَكَانَ مِنْهُمْ الْقَضَاةُ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ..

وَالْأَيْمَةُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ بِالنَّاسِ الصَّلَوَاتِ..

وَيَخْطُبُونَ لَهُمُ الْجُمُعَ وَالْأَعْيَادَ..

وَمَنْ يَعْقِدُونَ لَهُمُ عُقُودَ الزَّوْاجِ..

لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ كَانَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ مَحَلَّ احْتِرَامٍ كَبِيرٍ
مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ..



كَمَا كَانَتْ مَحَلَّ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الْحُكُومَةِ.

لِذَلِكَ أَعْطَتْهَا الْحُكُومَةُ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ تَزْرَعُهَا
وَتَنْتَفِعُ بِغَلَّتِهَا^(١)، وَتَسْتَعِينُ بِهَا فِي أَدَاءِ الْأَعْمَالِ
الْخَيْرِيَّةِ الَّتِي تَقَدِّمُهَا لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ..

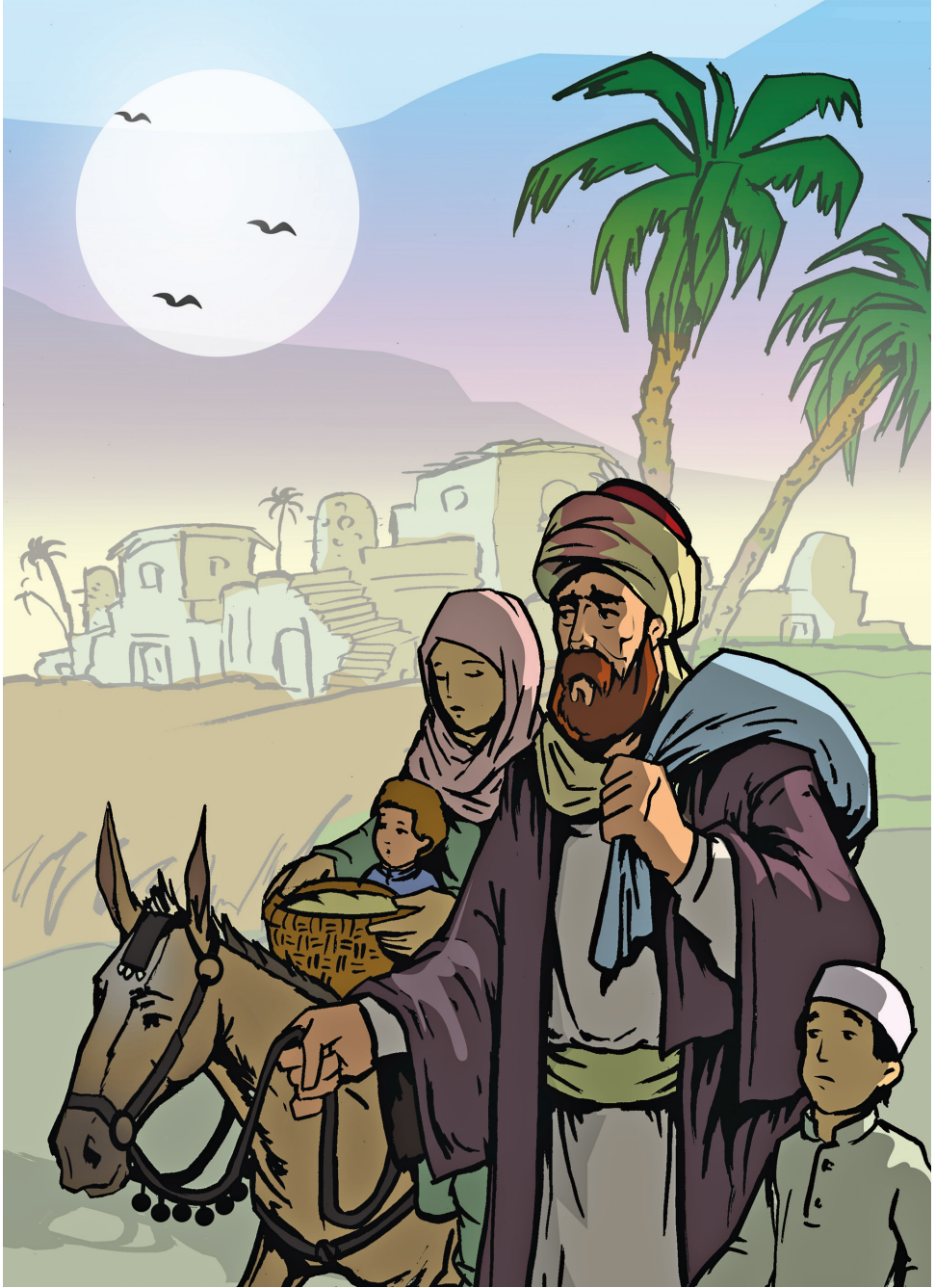
وَزِيَادَةً فِي تَقْدِيرِ الْحُكُومَةِ لَهَا أَعْفَتْهَا مِنْ جَمِيعِ
الضَّرَائِبِ..

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلِدَ لِرَبِّ الْأُسْرَةِ^(٢) الشَّيْخَ مَبَارَكَ
وَلَدٌ سَمَّاهُ عَلِيًّا، كَانَ لِمِيلَادِهِ فَرَحَةٌ كَبِيرَةٌ فِي الْقَرْيَةِ
كُلُّهَا، مُجَامَلَةً لِأَبِيهِ الشَّهْمِ^(٣) الْعُطُوفِ، الَّذِي يَخْدُمُ أَهْلَ
الْقَرْيَةِ، وَمُجَامَلَةً لِأُمِّهِ الْكَرِيمَةِ النَّقِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي
عَامِ ١٨٢٣ م - ١٢٣٩ هـ.

(١) الْغَلَّةُ: مَا تَنْتَجِيهِ الْأَرْضُ. وَالْجَمْعُ: غُلَاتٍ وَغُلَالٌ.

(٢) رَبُّ الْأُسْرَةِ: عَائِلُهَا وَمُدَبِّرُ شَأْنِهَا. وَالْجَمْعُ: أَرْبَابٌ.

(٣) الشَّهْمُ: النَّبِيلُ الصَّبُورُ. وَالْجَمْعُ: شَهَامٌ.



الشيخ مبارك والد علي وأسرته
وهم يرحلون إلى قرية أخرى هرباً من الضرائب

وَقَضَتِ الْقَرْيَةُ كُلَّهَا أَيَّامًا سَعِيدَةً، تَزُفُّ فِيهَا التَّهْنِئَةُ
الْخَالِصَةَ لِهَذِهِ الْأُسْرَةِ الْمَحْبُوبَةِ، رَاجِيَةً أَنْ يَكُونَ
الْوَلِيدُ قُرَّةَ عَيْنٍ ^(١) لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَبَشِيرَ خَيْرٍ لِأُسْرَتِهِ
وَلِلْقَرْيَةِ جَمِيعَهَا.

لَكِنَّ هَذِهِ الْفَرَحَةَ لَمْ تَدُم طَوِيلًا، فَقَدْ زَادَتِ الْحُكُومَةُ
الضَّرَائِبَ زِيَادَةً كَبِيرَةً وَضَجَّ ^(٢) النَّاسُ وَعَجَزُوا عَنْ
الدَّفْعِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَالٌ يَدْفَعُونَهُ لِهَؤُلَاءِ الْحُكَّامِ
الَّذِينَ لَا يَشْبَعُونَ مِنَ الْمَالِ.

وَلَمْ تَنْجُ أُسْرَةُ الشَّيْخِ مُبَارَكٍ مِنْ هَذِهِ الضَّرَائِبِ فَقَدْ
فَرَضَتِ الْحُكُومَةُ الضَّرَائِبَ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ الَّتِي
تَحْتَ يَدَيْهِ، بِمَا فِيهَا الْأَرْضُ الَّتِي كَانَتِ الدَّوْلَةُ قَدْ
أَعْطَتْهَا لَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

وَزَادَ الْأَمْرُ سُوءًا حِينَ أُجْبِرَتْهُ - مِثْلَ غَيْرِهِ مِنْ
النَّاسِ - عَلَى قَبُولِ قِطْعَةٍ أَرْضٍ أُخْرَى فَرَّ مِنْهَا

(١) قُرَّةُ عَيْنٍ: مَسْرَّةٌ.

(٢) ضَجَّ: صَاحَ.

أَصْحَابُهَا، وَتَرْكُوهَا بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الدُّيُونِ الْمَتَأَخَّرَةِ
الَّتِي عَجَزُوا عَنْ سَدِّهَا، وَأَوْجَبَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدَّى
جَمِيعَ تِلْكَ الدُّيُونِ سَرِيعًا.

وَأَمَامَ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْزِلُ بِمَنْ لَا يُسَدِّدُونَ أَوْ
يَتَأَخَّرُونَ عَنِ السَّدَادِ، اضْطَرَّ^(١) الشَّيْخُ مُبَارَكٌ أَنْ يَبِيعَ
كُلَّ مَا يَمْلِكُ حَتَّى أَثَاثَ الْمَنْزِلِ، لَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَفِ
بِالضَّرَائِبِ، فَمَاذَا يَعْمَلُ وَأَبْوَابُ السُّجُونِ مَفْتُوحَةٌ
عَلَى مَصَارِيْعِهَا^(٢)؟

لَمْ يَبْقَ أَمَامَ الشَّيْخِ الْكَرِيمِ، إِلَّا أَنْ يَصْنَعَ مَا صَنَعَ
أَجْدَادُهُ، حِينَ فَرُّوا مِنْ قَرْيَةِ «الْكُومِ وَالْخَلِيجِ»، وَلَمْ
يَتَمَهَّلْ وَاسْتَتَرَ بِاللَّيْلِ وَظِلَامِهِ الشَّدِيدِ، وَسَارَ بِأَهْلِهِ،
تَارِكًا قَرْيَتَهُ وَمُدِيرِيَّتَهُ كُلَّهَا، مُبْتَعِدًا عَنْهَا مُتَجَهًّا إِلَى
نَاحِيَةِ الشَّرْقِ وَكَانَ عُمُرُ عَلَى مُبَارَكٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ
نَحْوَ سِتِّ سِنَوَاتٍ.

(١) اضطر: لجأ.

(٢) مصاريع: جمع مصراع، وهو أحد جزأى الباب، الأيمن أو الأيسر.

وَكَلَّمَ وَجَدَ الشَّيْخُ مُبَارَكُ أَهْلِ الْمَكَانِ الَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ
يَشْعُرُونَ بِالْقَلْقِ، غَادَرَهُ مُسْرِعًا إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى بَلَغَ
مَدِيرِيَّةَ الشَّرْقِيَّةِ، وَأَبْعَدَ الْمَسِيرَ^(١) فِيهَا وَانْتَهَى الرَّحِيلُ
بِهِ إِلَى بَدْوٍ فِي الصَّحَرَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْقَرْيِ، يَرْعَوْنَ
الْأَغْنَامَ وَيَسْكُنُونَ خِيَامَ الشَّعْرِ، يُسَمَّوْنَ «عَرَبِ
السَّمَاعَةِ».

فَارْتَاخَ لَهُمْ، وَنَزَلَ بَيْنَهُمْ، وَسَرَّ بِهِمْ لِشَهَامَتِهِمْ
وَكَرَمِهِمْ، وَسُرُّوا بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا فِيهِ الرَّجُلَ الَّذِي
كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ، فَقَدْ كَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْ فَقِيهِ
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَكَانَ الشَّيْخُ
مُبَارَكُ رَجُلًا صَالِحًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ فَأَحْبَبُوهُ حُبًّا
شَدِيدًا، وَبَنَوْا لَهُ جَامِعًا وَجَعَلُوهُ إِمَامًا لَهُمْ.



(١) المسير: السير.

أسئلة الفصل الأول

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) أكمل ما يلي بالإجابات الصحيحة:

- «عائلة المشايخ» اسم أطلق على أسرة
- تتميز عائلة المشايخ بمعرفة
- أهم ما يحتاجه أهل القرى من علوم هو العلم
- (٢) استدل من خلال قراءتك للفصل الأول على تميز أسرة على مبارك.
- (٣) لماذا اتخذت أسرة على مبارك لها مقراً جديداً؟

(٤) صل بين الجملة في العمود (أ) وما يناسبها في

العمود (ب):

- | (أ) | (ب) |
|--|----------------|
| – كان الفلاحون يفرون من بلادهم خوفاً من | الكوم والخليج |
| – من يتأخر عن تسديد الضرائب | برنبال الجديدة |
| – «برنبال الجديدة» إحدى قرى مديرية | السجن |
| – قرية أسرة على مبارك الأولى هي | الدقهلية |
| – ولد على مبارك في المقر الجديد لأسرته بقرية | كفر الشيخ |
| | يجلد |

(٥) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

- (أ) طابت الحياة لأسرة على مبارك فى مقرها الجديد. ()
- (ب) عرفت عائلة على مبارك بعائلة المشايخ. ()
- (جـ) لم تفرض الحكومة الضرائب على أسرة الشيخ مبارك. ()

(٦) لماذا فرَّ الشيخ مبارك من قريته ليلاً؟

الفصل الثانى

عَزَّةُ نَفْسٍ وَطُموحٌ مبكر

ولمَّا اطمأنَّ الشيخُ مُباركٌ إلى حَيَاتِهِ الجَدِيدَةِ عِنْدَ عَرَبِ السَّمَاعِنَةِ، التَفَّتْ إلى تَعْلِيمِ ابْنِهِ عَلِيٍّ، وَأَخَذَ يَعْلِّمُهُ بِنَفْسِهِ، لَكِنَّ مَشَاغِلَهُ الكَثِيرَةَ لَمْ تُمَكِّنْهُ مِنْ مُوَاصَلَةِ هَذَا التَّعْلِيمِ، فَبَحَثَ عَنْ مُعَلِّمٍ يَثِقُ فِيهِ، حَتَّى اهْتَدَى إلى شَيْخٍ مُهَاجِرٍ، يَسْكُنُ قَرِيبًا مِنْ مَسَاكِينِ البَدْوِ، أَصْلُهُ مِنْ «بَرَنْبَالٍ» وَاسْمُهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ أَبُو خَضِرٍ، فَاتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى تَعْلِيمِ عَلِيٍّ، وَكَانَ الْكُتَّابُ بَعِيدًا عَنْ مَكَانِ إِقَامَةِ الصَّبِيِّ.

وَحُلَّتِ المَشْكَلَةُ بِأَنْ يُقِيمَ الصَّبِيُّ مَعَ الشَّيْخِ فِي بَيْتِهِ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ، وَيَعُودَ إلى مَنْزِلِهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ،



الكتاب... والشيخ يُقرئ الأولاد

كما اتَّفقا على أن يبعثَ الوالدُ إلى الشيخِ ما يكفى
الطفلَ أجرًا وإقامةً.

ودَّعه أبوه وأُمُّه وداعًا حارًّا، ونصَّحاهُ بالجدِّ
والاجتهادِ وبطاعةِ الشيخِ، ووعداهُ بجائزةٍ كبيرةٍ إذا
انتظمَ فى تعليمِهِ، وتفوَّقَ، وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ
سريعًا.

وكانتِ الأمُّ مَهمومَةً حزينَةً شديدةَ الألمِ لفراقهِ
واغترابهِ بعيدًا عنها.

لكنَّها تعرِفُ قيمةَ التعليمِ...

إنه يخلقُ الرجالَ الأفاضلَ.

ويحقِّقُ لصاحبهِ حياةَ حُرَّةٍ كريمةً.

فَعادت تُصَبِّرُ نفسَها، وتَسألُ اللهَ تعالى أن يَحْرُسَ
صغيرَها ويُبعدَ عنه الأخطارَ..

الشيخ يهوى بعضاه الغليظة على أحد الأولاد والباقي ينظرون إليه في خوف وقزع



عندمَا ذهبَ الصَّبِيُّ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي خَضِرٍ فِي كُتَّابِهِ،
وَجَدَهُ كَاشِرَ الْوَجْهِ، قَاسِيَ الطَّبْعِ، بِجَانِبِهِ عَصَا غَلِيظَةٌ
يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَوْلَادُ الْكُتَّابِ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ، فَمَلَكَهُ
الرُّعْبُ^(١)، ثُمَّ أَزْدَادَ مَا بِهِ مِنَ الْفَزَعِ، وَهُوَ يَرَى تِلْكَ
العَصَا تَهْوِي^(٢) عَلَى جَسَدِ بَعْضِ أَوْلَئِكَ الْأَوْلَادِ لِأَتْفِهِ
الْأَسْبَابِ.

فكره الشيخ، وقال لنفسه في ألم شديد:

– هل يليقُ بالمعلم أن يكونَ بمثلِ هذه القسوةِ؟

– وهل جئنا إلى هنا لننتعلمَ الجبنَ والخوفَ؟

وبعدَ فترةٍ أدركَ أَنَّهُ يُمكنُ أن ينجُوَ من شرِّ هذه
العصا إذا اجتهدَ لِيُتِمَّ حفظَ القرآنِ الكريمِ، وعندئذٍ
يَتَرُكُ الْكُتَّابَ، وَيَبْعُدُ عن صَاحِبِهِ الَّذِي يَقسو على
تلاميذه بالضرب والسب والإهانة، وأمضى سنتين

(١) الرعب: الخوف.

(٢) تهوى: تسقط.

كاملتين على هذه الطريقة، أتمَّ فيهما حفظ القرآن الكريم للمرة الأولى، التي تُسمَّى البداية.

وكان لا بُدَّ له من أن يظلَّ بعد ذلك مع الشيخ، ليعيدَ الحفظ ويثبِّتَهُ، وأبوه شديدُ الفرح به، وإن كان لا يعلمُ ما في نفسه من هذا التعليم الذي يُقاسى ويَلاتِه.

فلما ثقلت عليه العصا، رفضَ الذهابَ إلى الشيخ، ولم يُفِدْ معه تهديدُ أبيه ولا غيره، ممَّن كانوا يُريدون إرغامَهُ على الذهابِ إلى الكتاب، فعادَ أبوه يعلمُهُ بنفسِهِ.

ولمشاغله الكثيرة لم يستطع الإشرافَ الكاملَ عليه، فانصرفَ إلى اللُّعبِ، حتى نَسِيَ ما حَفَظَ وما تعلَّم، فحزنَ أبوه لذلك، ودعاهُ إليه، وقال له في شِدَّةٍ:

– مِن الغَدِ يا عَلِيُّ تذهبُ إلى الشيخِ أبي خضر، وتواصلُ الذهابَ إليه، لتُتِمَّ حفظَكَ وتعليمَكَ!

أَسَمِعْتَ؟!

فانفجر الصبى صائحاً فى قوةٍ وعزمٍ:

– وأعودُ مرةً أُخرى إلى العَصَا الغليظةِ، والمعاملةِ

القاسيةِ .

وأَتَعْلَمُ الخُضُوعَ، والمذَلَّةَ، والجُبْنَ!

لا، لَنَ أعودُ أبداً إلى ذلكَ الشيخِ.

– بل ستعودُ رَغْماً عنكَ، فلا طريقَ لكَ سوى التعليمِ!

وانضمَّ أحدُ إخوتهِ إلى أبيه، يزجُرُ هذا الصبىَّ

الجرىءَ المتفتِّحَ العقلَ، الشجاعَ الذى يعلنُ رأيه فى

صراحةٍ.

وتدخل الكثيرون ليُخيفوه حَتَّى يُطِيعَ ما يأمرُهُ به
أَبُوهُ، لَكِنَّهُ ظَلَّ عَازِمًا عَلَى الرَّفَضِ، وَالْحَاضِرُونَ كُلُّهُمْ
يَنْتَظِرُونَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ، وَيُوسِعَهُ ضَرْبًا، وَلَا
يَتْرَكُهُ حَتَّى يَخْضَعَ لَهُ.

لَكِنَّ الْأَبَّ الْعَاقِلَ الْحَكِيمَ، أَدْرَكَ مَا فِي نَفْسِ الصَّبِيِّ،
وَقَرَأَ مَا فِي وَجْهِهِ مِنْ عِلَامَاتِ التَّمَرُّدِ، فَخَافَ أَنْ
تُلْجِئَهُ الشَّدَّةُ^(١) إِلَى الْهَرُوبِ، فَعَادَ إِلَى الْهُدُوءِ.

وَتَنَبَّهَ أَحَدُ إِخْوَةِ الصَّبِيِّ إِلَى تَفَتُّحِهِ، وَقُوَّةِ نَفْسِهِ،
وَهَبَّ وَاقِفًا، وَتَقَدَّمَ مِنْهُ بِوَجْهِهِ بِاسْمٍ، وَطَوَّقَهُ بِذِرَاعِهِ،
وَلَا طَفَهَ، وَقَالَ لَهُ فِي بَشَاشَةٍ:

– سَنَتْرُكُ لَكَ الْحَرِيَّةَ يَا صَدِيقِي، فِي اخْتِيَارِ طَرِيقِكَ
إِلَى مُسْتَقْبَلِكَ، فَمَاذَا تَرَى أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، لِتَصْبِحَ
بَعْدَمَا تَكْبُرُ رَجُلًا مُحْتَرَمًا؟

(١) تُلْجِئُهُ الشَّدَّةُ: تَدْفَعُهُ.

فأسرع الصبى فى شجاعة:

– أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ كَاتِبًا، مِثْلَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، الَّذِي رَأَيْتُهُ
يَعْمَلُ عِنْدَ مُوظَّفٍ كَبِيرٍ، أَعْجَبَنِي شَكْلُهُ، وَسَرَّتْنِي
مَلَابِسُهُ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَهَابُونَهُ، وَيَحْتَرِمُونَهُ.

فصاح أبوه مسرعًا:

– اطمئنْ يَا وَلَدِي، فَسَوْفَ نَحَقِّقُ لَكَ رَغْبَتَكَ، مَا
دَامْتَ تَوَافِقُ هَوَاكَ.

وأسرع به إلى صديق له، من الكُتَّابِ^(١) الذين
يَكْتُبُونَ لِلنَّاسِ شِكَاوَاهُمْ وَعُقُودَهُمْ وَغَيْرَهَا، وَرَجَاهُ أَنْ
يُعَلِّمَهُ وَيُرَبِّيَهُ، وَيَأْخُذَهُ مَعَهُ فِي مَنْزِلِهِ، وَيَجْعَلَهُ وَاحِدًا
مِنَ أَوْلَادِهِ، وَيُدْفَعُ لَهُ هُوَ مَا يُقَابِلُ ذَلِكَ مِنَ الْمَالِ.

(١) الكُتَّاب: مفردُها: الكاتب وهو من يتخذ الكتابة حرفة ومهنة..

وسُرَّ الصَّبِيُّ كَثِيرًا حِينَ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكَاتِبِ،
وَرَأَى ثِيَابَهُ النَّظِيفَةَ، وَمَلَابِسَهُ الْحَسَنَةَ، وَجَعَلَ يَقُولُ
لِنَفْسِهِ فِي فَرَحٍ شَدِيدٍ:

– بَلَّغْتَ يَا عَلِيُّ مَا كُنْتُ تَتَمَنَّى!

هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي كُنْتُ تَحْلُمُ بِهِ، وَسَوْفَ تَتَعَلَّمُ
فِيهِ أَحْسَنَ تَعْلِيمٍ، وَتُقِيمُ أَحْسَنَ إِقَامَةٍ، مَعَ هَذَا الرَّجُلِ
الظَّرِيفِ النَّظِيفِ الْعَطُوفِ، الَّذِي لَا يَضْرِبُ، وَلَا يَشْتُمُ،
وَلَا يُؤْذِي، وَلَنْ يَحْرِمَكَ شَيْئًا مِثْلَ «الشَّيْخِ أَبُو خَضِرٍ»!

لَكِنَّ ظَنَّهُ كَانَ خَاطِئًا، فَقَدْ غَرَّهُ الْمَظْهَرُ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا
وَرَاءَهُ، فَسَرِيعًا مَا ظَهَرَتْ لَهُ الْحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ، فَلَمْ يَجِدْ
فِي بَيْتِ هَذَا الرَّجُلِ الْهَدُوءَ الَّذِي كَانَ يَنْشُدُهُ^(١).

وَوَجَدَهُ يَمْوِجُ بِالضَّجَّةِ، لكَثْرَةِ عِيَالِ الرَّجُلِ مِنْ
زَوْجَاتِهِ الثَّلَاثِ، ثُمَّ وَجَدَهُ يُقَتِّرُ^(٢) عَلَيْهِ فِي الطَّعَامِ،

(١) يَنْشُدُهُ: يَبْحَثُ عَنْهُ.

(٢) يَقْتَرُ: يَضِيقُ وَيَبْخُلُ..

فلا يُعْطِيهِ مَا يُشْبِعُهُ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ اللَّيَالِي يَحْرُمُهُ مِنْهُ
فَيَبِيتُ جَائِعًا.

فَإِذَا خَرَجَ إِلَى الْعَمَلِ أَخَذَهُ مَعَهُ، لَا لِيُعَلِّمَهُ بَلْ لِيَتَّخِذَهُ
خَادِمًا يَخْدُمُهُ، مَعَ إِهَانَتِهِ.

فَلَمْ يُطِقْ هَذَا الْجَوَّ الْكَثِيبَ، وَعَادَ إِلَى أَبِيهِ يَشْكُو إِلَيْهِ
هَذَا الْكَاتِبَ الْمَعْلَمَ الَّذِي يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَفِيدُ شَيْئًا مِنْهُ.

فَقَابَلَ أَبُوهُ شَكْوَاهُ بِالْغَضَبِ الشَّدِيدِ مِنْهُ، وَصَاحَ
فِيهِ قَائِلًا:

– اخْسَأْ^(١) يَا وَلَدُ وَتَأَدَّبْ وَلَا تَقُلْ هَذَا عَنْ مَعْلَمِكَ !
إِنَّهُ يَعْلَمُكَ وَيُرْشِدُكَ.

– لَكِنَّهُ يَا أَبِي لَا يُرْشِدُنِي، وَلَا يَعْلَمُنِي حَرْفًا وَلَا
غَيْرَهُ، بَلْ يُؤْذِنِي وَيُجِيعُنِي، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى هَذِهِ

الْحَالِ؟!

(١) اخْسَأْ: اخضع.



عَلَى مُبَارَك وَهُوَ يُظْهِرُ لَوَالِدِهِ آثَارَ الضَّرْبِ عَلَى كَتِفِهِ

ولماذا أكذبُ وقد اخترتُ بِنَفْسِي هذا الطريقَ، الذي
ظننتُ أنه سيجعلني إنساناً مُحترماً؟

وفات الشيخ مباركاً، أن يقرأ ما في وجه صغيره،
كما قرأه في المرة السابقة، ليتبين ما فيه من العزم
على أمرٍ خطيرٍ، ويعرف أن الشدة لا تُفيدُ، وأنه كان
ينبغي أن يرقَّ مع ابنه، حتى لا يزيده كراهةً لما هو
فيه، ويدفعه إلى شيءٍ لا يُحبه.

وكان الشيخ مباركٌ والأسرة كلها، في حيرةٍ شديدةٍ
من أمرِ هذا الصَّبِيِّ، ثم رأوا أخيراً أن يعرضوا عليه
التعليمَ مرةً أخرى باللِّين، مادامت الشدة لا تُفيدُ معه.

فلما عرضوا عليه التعليمَ برقةٍ، صاح في مرارةٍ:

– صدّقوني أيُّها الناسُ! لا فائدة من تعليمي بهذا
الشكلِ، فلم أستفد من المعلم الأول، ولم ألق سوى
الضرب، والإهانة.

ولم أَسْتَفِدْ من الكَاتِبِ ولم أَشْعُرِ إِلَّا بالضِيَاعِ،
والإِذْلَالِ، وتشغِيلِي خَادِمًا حَقِيرًا^(١).

فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ تَعْرُضُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ التَّعْلِيمَ؟!

قال أَبُوهُ وَصَدْرُهُ مَمْلُوءٌ بِالْهَمِّ وَالْحُزَنِ:

– وما رَأَيْكَ يَا عَلِيُّ فِي أَنْ تَعْمَلَ مع كَاتِبٍ من الْكُتَّابِ،
الَّذِينَ يَقِيسُونَ الْأَرْضِيَّ لِلْفَلَاحِينَ، يُعَلِّمُكَ قِيَاسَ
الْأَرْضِيَّ وَتَوَازِيْعَهَا، وَذَلِكَ عَمَلٌ نَظِيفٌ مُرِيحٌ؟

قال الصَّبِيُّ فِي اعْتِزَازٍ بِنَفْسِهِ:

– أُجَرِّبُ يَا وَالِدِي هَذَا الْعَمَلَ أَوَّلًا، فَإِذَا أَعْجَبَنِي، وَإِلَّا
بَحَثْتُ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يُعْجِبُنِي، وَيَرْضِي نَفْسِي فَإِنِّي أَوْدُّ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكُبَرَاءِ، وَلَنْ أَرْضَى بِغَيْرِ ذَلِكَ أَبَدًا أَبَدًا!



(١) حَقِيرًا: ذَلِيلًا. وَالْجَمْعُ: حِقَارٌ.

أسئلة الفصل الثاني

أجب عن الأسئلة التالية:

(١) ما المشكلة التي واجهت الصبي عند التحاقه بالكتاب؟

(٢) لِمَ لَمْ يَقم الوالد بتعليم ابنه بنفسه؟

(٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

■ كان الشيخ أحمد أبو خضر يسكن قريباً من مساكن البدو.

()

■ هدد الشيخ مبارك ابنه علياً بالضرب إذا لم يحفظ القرآن.

()

■ كانت أم علي مبارك سعيدة حين ذهب ولدها إلى الكتاب.

()

■ دعت الأم ربها أن يحرس صغيرها، ويبعد عنه الأخطار.

()

■ كان الشيخ أحمد أبو خضر مبتسماً دائماً.

()

(٤) ما مصدر فزع الصبى وخوفه من الشيخ؟
(٥) ما شعور الصبى نحو شيخه؟ وكيف عبر عن ذلك
الشعور؟

(٦) ماذا تفعل لو:

■ تعرضت لما تعرض له الصبى فى كتاب أبى خضر؟
(٧) هل يتفق ما يفعله الشيخ أبو خضر مع النظريات
التربوية الحديثة؟ ولماذا؟

(٨) رتب الفكر الآتية حسب حدوثها بكتابة الأرقام فى
الأقواس:

■ () أقامت أسرة على مبارك مع بدو «عرب السماعنة».

■ () حفظ على مبارك القرآن الكريم للمرة الأولى فى
كتاب «أبى خضر».

■ () استقرت أسرة على مبارك فى قرية «برنبال
الجديدة».

■ () ولد للشيخ مبارك ولد سماه علياً.

■ () رفض على مبارك الذهاب إلى الكتاب رغم تهديد
أبيه.

(٩) ما الذى أدركه الأب العاقل الحكيم؟

(١٠) تبين أحداث الفصل الطرق التربوية فى تعليم الأبناء.
وضح ذلك.

(١١) لم خير الأب ابنه في تحديد مستقبله؟

(١٢) علل لما يأتى:

■ اختيار الصبى أن يكون كاتبًا.

■ رفض الصبى الذهاب إلى الكتاب.

(١٣) يقسم المعلم الفصل إلى أربع مجموعات لكتابة تعليق

لايزيد على ثلاثة أسطر:

– المجموعة الأولى: تكتب تعليقًا على تصرف الحكام فى

عهد محمد على.

– المجموعة الثانية: تكتب تعليقًا على طريقة الآباء فى

تعليم الأبناء.

– المجموعة الثالثة: تكتب تعليقًا عن طريقة التعليم.

– المجموعة الرابعة: تكتب تعليقًا عن الكاتب المعلم.

الفصل الثالث

السَّجِينُ الْمَظْلُومُ

مَطَّ الشَّيْخُ مَبَارَكُ شَفَتَيْهِ، وَهَزَّ كَتِفَيْهِ^(١)، عَجَبًا مِنْ هَذَا الصَّغِيرِ الْعَنِيدِ، الَّذِي لَا يَرْضَى أَنْ يَفْرِضَ أَحَدٌ عَلَيْهِ رَأْيًا، وَيَأْبَى إِلَّا أَنْ يُجَرَّبَ الْعَمَلَ بِنَفْسِهِ، لِيُوَافِقَ عَلَيْهِ أَوْ لَا يُوَافِقَ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكَاتِبِ، وَرَجَاهُ أَنْ يَقْبَلَ ابْنَهُ تَلْمِيزًا لَهُ، فَوَافَقَ عَلَى طَلَبِهِ.

وَلَمَّا عَمِلَ الصَّبِيُّ مَعَهُ، رَضِيَ بِعَمَلِهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَى مَصَاحِبَتِهِ، فَقَدْ وَجَدَ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ الَّذِي يَدْفَعُهُ الْفَلَاحُونَ لَهُ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَمُكِّثْ طَوِيلًا مَعَهُ، وَطَرَدَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِدْمَتِهِ.

(١) مط الشفتين مع هز الكتفين إظهارًا للتعجب.

لأنَّهُ كَانَ لِصَغْرِهِ يَتَحَدَّثُ إِلَى النَّاسِ بِبَسَاطَةٍ، عَمَا
يَأْخُذُهُ الْكَاتِبُ مِنَ الْفَلَاحِينَ، وَلَا يَعْرِفُ خَطَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ،
فَاغْتَاطَ الرَّجُلُ لِإِفْشَاءِ ذَلِكَ السِّرِّ الَّذِي يَضُرُّهُ.

فَلَمْ يَهْتَمَّ أَبُو عَلَى لِطَرْدِ ابْنِهِ، وَعَادَ يُعَلِّمُهُ بِنَفْسِهِ،
وَكَانَ مَكْلَفًا بِجَمْعِ مَا عَلَى الْعَرَبِ^(١) مِنْ أَمْوَالٍ مَفْرُوضَةٍ
لِلدَّوْلَةِ، فَإِذَا خَرَجَ لِأَدَاءِ عَمَلِهِ أَخَذَهُ مَعَهُ، لِيَقُومَ بِكُتَابَةِ
ذَلِكَ الْمَالِ وَحَسَابِهِ.

ثُمَّ أَلْحَقَهُ بِكَاتِبٍ فِي مَأْمُورِيَّةٍ «أَبُو كَبِيرٍ» شَرْقِيَّةٍ،
بِأَجْرِ قَدْرِهِ خَمْسُونَ قَرَشًا فِي الشَّهْرِ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ طَوِيلًا فِي هَذَا الْعَمَلِ، إِذْ وَجَدَ أَنَّهُ
يَخْدُمُ هَذَا الْكَاتِبَ بِصَدَقٍ وَأَمَانَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَأْكُلُ عَلَيْهِ
أَجْرَهُ، وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئًا غَيْرَ الطَّعَامِ وَمَكْتًا عَلَى هَذَا
الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى سَاءَتْ حَالُهُ فَعَزَمَ عَلَى أَنْ
يَأْخُذَ حَقَّهُ بِالْحِيلَةِ.

(١) العرب: المراد عرب السماعنة.

وذاتَ يومَ بعثَهُ الرجلُ ليقبِضَ بعضَ المَالِ، فقبضَهُ
وأخذَ منه مِقْدَارَ أَجْرِهِ، وذهبَ إلى الكاتبِ وسلمه
كيسَ النقودِ وأخبره أَنه أخذَ مائةَ وخمسينَ قرشًا
قيمةَ أَجره عن ثلاثةِ شهورٍ، وتركه وانصرفَ مسرعًا
قبلَ أَن يمسكَ به. فثارَ الكاتبُ ثورةً شديدةً لذلكِ
التَّصَرُّفِ الجريءِ، وعزمَ على أَن ينتَقِمَ من الصَّبيِّ
أشدَّ انتقامٍ.

فذهبَ إلى المأمورِ وأخبره بما حدثَ، فغضبَ هو
الآخرُ وثارَ، واتفقا معًا على الانتقامِ من هذا الولدِ
الجريءِ الذی لا یخافُ أحدًا.

وفی هذا الوقتِ، جاءَ إلى المركزِ طلبٌ من الحكومةِ،
باختیارِ بعضِ الشبانِ للخدمةِ العسكريةِ، فانتَهزَ
المأمورُ الفُرصةَ، ودعا الفتى إليه وقالَ له فی هُدوءٍ:

- تعلِّمَ يا علّی أننى مسرورٌ منك كثيرًا، ولا أثقُ فی
أحدٍ غیركَ یقومُ بالأعمالِ المهمّةِ.

– نَعَمْ يَا سَيِّدِي، وَأَشْكُرُكَ كُلَّ الشُّكْرِ، عَلَى هَذِهِ الثَّقَةِ
الَّتِي أَعْتَزُّ بِهَا.

– تَذْهَبُ إِلَى السَّجْنِ مُسْرِعًا لَتُسَجَّلَ أَسْمَاءُ مَنْ فِيهِ،
فمَطْلُوبٌ مِنَّا اخْتِيَارُ بَعْضِ الشَّبَابِ لِلخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّةِ،
وَعَسَى أَنْ نَجِدَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَصْلَحُ لَهَا.

وَجَازَتِ الحِيلَةُ^(١) عَلَى الْوَلَدِ الطَّيِّبِ الْمُسْكِينِ، وَذَهَبَ
مُسْرِعًا، إِلَى السَّجْنِ، فَإِذَا بِرَجَالِ الْمَأْمُورِ يُحِيطُونَ
بِهِ، وَيَضْعُونَ فِي رَقَبَتِهِ قَيْدًا مِنْ حَدِيدٍ، وَيُلْقُونَهُ فِي
السَّجْنِ الْمُظْلَمِ، لِيُظْلَّ فِيهِ عَشْرِينَ يَوْمًا، بَيْنَ الْقَاذُورَاتِ،
وَالْأَوْسَاخِ، وَالْخُوفِ، وَالْبُكَاءِ.

وَقَدْ كَانَ السَّجَّانُ طَيِّبَ الْقَلْبِ عَطُوفًا، فَاشْتَدَّ أَلَمُهُ
لِمَا حَدَّثَ لِلْفَتَى الصَّغِيرِ السَّنِّ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَصْنَعَ
شَيْئًا يُنْقِذُهُ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ.

(١) جازت الحيلة عليه: انخدع بها.

وَذَاتَ يَوْمٍ أَقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ السَّجَّانِ صَدِيقٌ لَهُ، يَعْمَلُ
عِنْدَ مَأْمُورٍ لَزْرَاعَةِ الْقُطْنِ، وَأَثْنَاءَ الْحَدِيثِ أَخْبَرَهُ ذَلِكَ
الصَّدِيقُ أَنَّ سَيِّدَهُ الْمَأْمُورَ فِي حَاجَةٍ إِلَى كَاتِبٍ يُجِيدُ
الْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ، فَفَرَحَ السَّجَّانُ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ
مِنْ خَيْرٍ لَذَلِكَ الْفَتَى، وَقَالَ لِمُصَاحِبِهِ عَلَى الْفُورِ:

– وَجَدْتُ مَا تَطْلُبُ يَا صَدِيقِي، فَعِنْدَنَا فِي السَّجْنِ
فَتَى أَمِينٌ مَظْلُومٌ، جَيِّدُ الْخَطِّ، بَارِعٌ فِي الْحِسَابِ،
وَأَرَاهُ يَنْفَعُ مَأْمُورَكَ، فَهَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَسْعَى لَهُ فِي تِلْكَ
الْوِظَافَةِ لِرُؤُوسِ اللَّهِ تَعَالَى؟

فَطَلَبَ مِنْهُ صَدِيقُهُ أَنْ يَكْتُبَ الْفَتَى شَيْئًا، يَأْخُذُهُ مَعَهُ
وَيَعْرِضُهُ عَلَى سَيِّدِهِ، فَكُتِبَ عَلَى بَعْضِ الْعِبَارَاتِ
الرَّقِيقَةِ عَلَى وَرَقَةٍ نَظِيفَةٍ، بِخَطٍّ جَمِيلٍ، أَخَذَهَا الْخَادِمُ،
وَعَادَ بِهَا مُسْرِعًا إِلَى سَيِّدِهِ، فَلَمَّا قَرَأَهَا سُرَّ بِهَا سُرُورًا
كَبِيرًا، وَوَافَقَ عَلَى تَعْيِينِ مُصَاحِبِهَا فِي الْوِظَافَةِ الْخَالِيَةِ.

وبعد قليل عاد الخادم إلى السّجن، ومعه أمرٌ بالإفراجِ
عن علي، فأفرج عنه، فأخذه الخادم بيده، وانطلق به
مُسرعًا إلى مأموره «عنبر أفندي» وأدخله عليه.

فحادثه المأمور طويلاً، واطمأن إلى عقله وإدراكه،
وقدّرتِه على العمل الذي سيتولّاه، وعرض عليه الراتبَ
الذي سيأخذه، وهو خمسة وسبعون قرشاً في الشهر،
فقبله شاكرًا، وتسلم عمله، ثم انصرف ليعود إليه في
صباح الغد.

وازداد عليّ قناعةً بالعلم، وضرورة تحصيله، فقد
أخرجهُ العلمُ من السّجن وظلماته.

وهنا نسج عليّ خيوط مُستقبله، ليكون على الأقلّ
مثل مأمور الزراعة «عنبر أفندي».



أسئلة الفصل الثالث

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) ما سبب دهشة الشيخ وعجبه من ابنه على؟
(٢) وضح الصفات التي أعجبتك في الصبي من خلال فهمك لأحداث الفصل.

(٣) يعتز الصبي بنفسه، ويعتد بكرامته. وضح ذلك.

(٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

■ عرض الشيخ مبارك على ابنه أن يتعلم قياس الأراضي فوافق على الفور. ()

■ طرد الكاتب علياً بعد أربعة أشهر من خدمته. ()

■ كان علي يفتش سر الكاتب الذي كان يعمل معه. ()

■ التحق علي مبارك بكاتب في مأمورية «أبوكبير». ()

■ مأمورية «أبوكبير» تقع في محافظة الدقهلية. ()

(٥) بم علل «علي مبارك» عدم استمراره في العمل مع

الكاتب؟

(٦) وضح الحيلة التي أخذ علي بها حقه، مبيناً رأيك.

(٧) لخص وسيلة انتقام الكاتب من علي مبارك في حوالى
أربعة أسطر.

(٨) اذكر أهم الفِكر التى تضمنها الفصل.

(٩) أكمل:

■ رق الشيخ مبارك مع ابنه وعرف أن الشدة

.....

■ لم يمكث على فى عمله مع الكاتب إلا

■ كان على مبارك يعمل فى مأمورية «أبو كبير» بأجر قدره

.....

الفصل الرابع

سِرُّ غَامِضٍ

عندما دخل الفتى على «عنبر أفندي»، رآه جالساً في عظمة وأُبَّهَةٍ، أمامه كثيرٌ من الأعيان، والحُكَّام، والأغنياء، يقفون في خشوع، ويتكلمون بأصوات خافتة، ويستمعون إلى الأوامر التي يُلقِيها ذلك المأمورُ عليهم في إصغاءٍ شديدٍ، فاشتدت دَهْشَتُهُ لما يرى وما يسمَعُ، وجعل يقول لنفسه في عَجَبٍ:

– كيف يقف هؤلاء الكبارُ أمامَ هذا الرَّجلِ، خاضعينَ لأمره، وهم أصحابُ القُصور، والخدم، والحشم^(١)، والعبيد، والناسُ يهابونهم، ولا يعصون لهم أمراً؟!!

(١) حشم المرء: خاصته الذين يغضبون لغضبه، من أهل أو جيرة أو خدم.

مَا سِرُّ عَظْمَةِ هَذَا الرَّجُلِ؟ وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَى هَذَا
الْمَنْصَبِ الْخَطِيرِ وَهُوَ غَيْرُ تَرْكِي، وَلَمْ يَعْهَدْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
وَلِيَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ الْأَتْرَاكِ؟!

وَمَاذَا أَكْسَبَهُ ذَلِكَ الْجَلَالَ، الَّذِي يَخْضَعُ لَهُ كِبَارُ
النَّاسِ وَيَجْعَلُهُمْ يُقْبِلُونَ يَدَهُ فِي أَدَبٍ، وَلَا يَخَالِفُونَ لَهُ
رَأْيًا، وَلَا يَعْتَرِضُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ؟!

لَمْ نَرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ، وَمَا نَعْرِفُ
الْحُكَّامَ إِلَّا مِنَ الْأَتْرَاكِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ سِرِّ هَذَا
الْجَلَالَ وَتِلْكَ الْعَظْمَةِ!

وَلَمَّا كَانَتْ هِمَّةٌ^(١) عَلَىَّ فِي أَنْ يَحْيَا حَيَاةً كَرِيمَةً لَا نُزْلَ
فِيهَا وَلَا مَهَانَةً.

جَعَلَ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ السِّرِّ، فَوَجَدَهُمْ
لَا يَعْرِفُونَهُ، وَمِنْهُمْ أَبُوهُ الَّذِي أَجَابَهُ إجاباتٍ لَمْ تُرْضِهِ،

(١) همة: العزم القوي، والجمع: همم.



فَاتَّجَهَ إِلَى أَكْثَرِ النَّاسِ احْتِكَامًا بِالْمَأْمُورِ وَهُوَ فَرَّاشُهُ،
وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ السَّرِّ.

فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ هَذَا الْمَأْمُورَ دَخَلَ مَدْرَسَةً «قَصْرِ
الْعَيْنَى» بَعْدَ أَنْ تَوَسَّطَتْ لَهُ إِحْدَى سَيِّدَاتِ الْمَجْتَمَعِ
الْفَضْلِيَّاتِ.

كَمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ تَلَامِيذَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ يَتَعَلَّمُونَ فِيهَا
الْخَطَّ، وَالْحِسَابَ، وَاللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَأَنَّ
الْحُكَّامَ يُؤْخِذُونَ مِنْهَا، فَارْتَاخَ قَلْبُهُ، وَصَاحَ بِنَفْسِهِ
قَائِلًا فِي عَزَمٍ:

— عَرَفْتُ السَّرَّ فِي عَظْمَةٍ «عَنْبِرِ أَفْنَدَى» وَقَوَّيْتَهُ!

إِنَّهُ التَّعْلِيمُ الَّذِي يَرْفَعُ النَّاسَ وَيُعْلِي أَقْدَارَهُمْ،
وَيُحَقِّقُ لَهُمُ الْحَيَاةَ الْحَرَّةَ الْكَرِيمَةَ.

إِنَّ لَابُدَّ مِنْ دُخُولِ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، لِأَكُونَ مِنَ الْحُكَّامِ
الْكِبَارِ، أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ مِثْلَ «عَنْبِرِ أَفْنَدَى»!

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْفَرَاشِ وَقَالَ لَهُ فِي اهْتِمَامٍ شَدِيدٍ:
أَيَدْخُلُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْفَلَاحِينَ يَا
وَالِدِي؟!

فَأَجَابَهُ الْفَرَّاشُ، وَهُوَ يَهْزُ رَأْسَهُ قَائِلًا:

– يَدْخُلُهَا يَا بُنَيَّ صَاحِبُ الْوَاسِطَةِ، الَّذِي يَبْتَسِمُ
الْحَظُّ لَهُ فَيَعْتَرُّ عَلَيْهَا!!

فَجَعَلَ عَلَى يَقُولٍ لِنَفْسِهِ فِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ:

– وَمِنْ أَيْنَ لِي بِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ؟! شَيْءٌ بَعِيدٌ عَنْ
أُمْتَالِي!!

لَكِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ، وَأَقْدَرُ عَلَى أَنْ يُهَيِّئَ لِي دُخُولَ تِلْكَ
الْمَدْرَسَةِ، دُونَ اعْتِمَادٍ عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ.

وَعَادَ يَسْأَلُ الْفَرَّاشَ عَنْ قَصْرِ الْعَيْنِي، وَكَيْفَ يُقِيمُ
فِيهِ مَنْ يَدْخُلُونَهُ.

فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ كُلِّ مَا أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ عَنْ تِلْكَ
الْمَدْرَسَةِ، مِنْ مَكَانِهَا، وَالطَّرِيقِ إِلَيْهَا، وَالْمَسَافَاتِ
الَّتِي يَقْطَعُهَا قَاصِدًا إِيَّاهَا، وَأَسْمَاءِ الْبِلَادِ الَّتِي يَمُرُّ
بِهَا.. فَدَوَّنَ كُلَّ ذَلِكَ فِي وَرْقَةٍ دَسَّهَا^(١) فِي جَيْبِهِ.

ثُمَّ أَنْصَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَهُوَ يُثْنِي عَلَى حُسْنِ إِقَامَةِ
التَّلَامِيذِ فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، وَعَلَى طَعَامِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ،
وَإِكْرَامِهِمْ، فَزَادَهُ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَقَرَّرَ أَنْ يُسْرِعَ بِالذَّهَابِ
إِلَى هُنَاكَ، وَاشْتَدَّ عَزْمُهُ عَلَى تَرْكِ وَظِيفَتِهِ، وَالْوُصُولِ
إِلَى تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الْعَظِيمَةِ بَأَيَّةِ وَسِيلَةٍ وَأَيِّ طَرِيقٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى «عَنْبَرِ أَفَنْدِي» وَطَلَبَ مِنْهُ الْإِذْنَ لَهُ فِي
زِيَارَةِ أَهْلِهِ، لِيُعْطِيَهُ إِجَازَةً يَتِمَكَّنُ فِيهَا مِنَ الذَّهَابِ إِلَى
تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ وَمَعْرِفَةِ حَالِهَا، فَأَذِنَ لَهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ

يَوْمًا.

(١) دَسَّهَا: أَخْفَاهَا.

شجرة كبيرة يجلسُ تحتها عددٌ من الأولاد وهم يكتبون بالريشة ويجوِّرونهم الدواة^(١) على شاطئ التربة.



(١) الدواة: المحبرة وجمعها: دوى.

فَسَارَ إِلَى قَرِيَّتِهِ لِيُدَبِّرَ أَمْرَهُ، وَيُسْرِعَ بِالذَّهَابِ إِلَى
تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي سَتَجْعَلُهُ مِنَ الْعُظَمَاءِ، الَّذِينَ يَحْيَوْنَ
حَيَاةً حُرَّةً كَرِيمَةً.

كَانَ الْحِظُّ يَنْتَظِرُهُ فِي الطَّرِيقِ، لِيَحَقِّقَ رَغْبَتَهُ فِي
دُخُولِ تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، فَلَمْ يَكْذُ يَبْتَعِدْ عَنْ «أَبُو كَبِيرٍ»،
حَتَّى التَّقَى بِصِبْيَانٍ عِنْدَ قَرْيَةٍ «بَنَى عِيَاضُ»، مَعَهُم
رَجُلٌ يَقُودُهُمْ، فَمَشَى مَعَهُمْ وَاخْتَلَطَ بِهِمْ، وَتَحَدَّثَ
إِلَيْهِمْ وَتَحَدَّثُوا إِلَيْهِ، فَعَرَفَ أَنَّهُمْ مِنْ تَلَامِيذِ مَدْرَسَةِ
«مَنِيَّةِ الْعِزِّ» فَسُرَّ وَاسْتَبَشَرَ^(١).

وَبَعْدَ مُدَّةٍ تَعَبُوا مِنَ الْمَشْيِ، وَعَجَزُوا عَنِ السَّيْرِ،
فَجَلَسُوا تَحْتَ شَجَرَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الْكَبِيرَةِ، يَسْتَظِلُّونَ
بِظِلِّهَا، وَيَسْتَرِيحُونَ مِنَ السَّيْرِ، وَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ
بِالتَّسَابُقِ فِي الْخَطِّ، أَيُّهُمْ أَحْسَنُ كِتَابَةً؟

(١) استبشّر: فرح.

فَتَسَابَقَ عَلَىٰ مَعَهُم، وَلَمَّا رَأَوْا خَطَّهُ الْجَمِيلَ، أَقْرَأُوا
لَهُ بِالسَّبْقِ.. وَقَالُوا لَهُ فِي عَجَبٍ:

– لَوْ التَّحَقَّتْ بِمَكْتَبِنَا لَصِرْتَ «جَاوِيشًا!».

فَأَسْرَعَ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُودُهُمْ، وَهُوَ يَقْلُبُ وَرَقَةً عَلَىٰ
فِي يَدِهِ، قَائِلًا فِي دَهْشَةٍ كَبِيرَةٍ:

– لَا، بَلْ لَكَانَ فِي رُتَبَةِ «الْبَاشِ جَاوِيش».

وَلَمَّا سَأَلَ عَلِيٌّ عَنْ مَعْنَى مَا يَقُولُونَ، أَخْبَرُوهُ بِأَنَّ
«الْجَاوِيشَ» وَ«الْبَاشِ جَاوِيشَ»، هُم أَصْحَابُ مَكَانَةٍ
كَبِيرَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ، فَزَادَ سُرُورُهُ، وَبَدَتْ تِلْكَ الْمَدْرَسَةُ
أَمَامَهُ شَيْئًا عَظِيمًا يَنْبَغِي أَنْ يُسْرَعَ إِلَيْهِ، وَعَادَ الرَّجُلُ
يَقُولُ لَهُ مُشْجَعًا:

– سَيَكُونُ لَكَ يَا بُنَيَّ مُسْتَقْبَلٌ حَسَنٌ، لَوْ أَنَّكَ دَخَلْتَ
مَكْتَبَ «مِنْيَةِ الْعِزِّ»، فَهُوَ يُوصِلُ إِلَى مَدْرَسَةِ قَصْرِ الْعَيْنِي.

وَحِينَ يَنْتَهِي بِكَ الْأَمْرُ إِلَى تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ وَمَا بَعْدَهَا
مِنْ مَدَارِسَ عَالِيَةٍ، سَتُصْبِحُ رَجُلًا عَظِيمًا جَدًّا.

وَسَتَكُونُ نَفَقَتُكَ كُلُّهَا فِي تِلْكَ الْمَدَارِسِ عَلَى حَسَابِ
الدَّوْلَةِ، تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَتَلْبَسُ، وَتَأْخُذُ مَعَ ذَلِكَ مَصْرُوفًا
شَهْرِيًّا تُنْفِقُهُ كَمَا تَشَاءُ.

فَدَقَّ قَلْبُ عَلِيٍّ بِالْفَرَحِ الشَّدِيدِ، وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ أَغْلَقَ
عَيْنَيْهِ وَفَتَحَهُمَا، فَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ، يَسِيرُ
فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَارَ فِيهِ «عَنْبَرُ أَفْنَدِي»، وَغَيْرُهُ مِنْ
الْكُبَرَاءِ.

وَمَضَى مَعَ الْأَطْفَالِ إِلَى مَكْتَبِهِمْ بِمَنْيَةِ الْعِزِّ، وَتَقَدَّمَ
إِلَى نَازِلِ الْمَكْتَبِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُسَجِّلَ اسْمَهُ فِي عِدَادِ
التَّلَامِيذِ.

وَكَانَ النَّازِلُ يَعْرِفُهُ وَيَعْرِفُ أَبَاهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ أَبَاهُ لَنْ
يَرْضَى أَبَدًا بِأَنْ يُصْبِحَ ابْنُهُ تَلْمِيذًا بِهَذَا الْمَكْتَبِ؛

فالتلاميذُ في هذا النظامِ الذي أنشأه محمدٌ عليّ،
يُقتطعونَ من أهلِهِم، ويُنشئونَ على النظمِ العسكريَّةِ
الخالصةِ، التي تحولُ^(١) بينهم وبينَ ذويهم، فلا يُسمحُ
لهم برؤيتِهِم حتى في زياراتٍ قصيرةٍ.

فلم يُسجَل اسمٌ عليّ مع التلاميذِ حتَّى يأذنَ^(٢) أبوه،
خوفًا من أن يغضبَ منه ويقاطعه، وهو صديقُه
العزیزُ.

ولمَّا علمَ عليٌّ بذلك، ثارَ على الناظرِ ثورةٌ شديدةٌ،
وهَدَّدهُ بأن يشكوهُ إلى الواليِ^(٣) إن لم يفعلْ ما طَلَبَ
منه، فلم يجدِ الناظرُ بُدًّا من الخضوعِ لرغبةِ هذا
الصَّبِيِّ الجَرِيءِ العنيدِ.

ثمَّ بعثَ إلى أبيه مَن يُخبرُهُ الخبرَ، ويطلبُ منه
الإسراعَ لإنقاذِ الموقفِ قبلَ فواتِ الأوانِ.

(١) تحولُ: تحجز.

(٢) يأذن: يسمح ويبيح.

(٣) الوالي: الحاكم، والجمع: الولاة.

وما كَادَ الشَّيْخُ مَبَارَكُ يَسْمَعُ هَذَا الْخَبَرَ، حَتَّى فَرَعَ
فَزَعًا شَدِيدًا، وَأَسْرَعَ إِلَى النَّازِرِ، وَعَمِلَا مَا اسْتَطَاعَا
لِيَصْرِفَاهُ عَنْ قَصْدِهِ فَلَمْ يَنْجَحَا.

وَسَارَ عَلَىٰ فِي طَرِيقِهِ، الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَاخْتَارَهُ
الْقَدْرُ لَهُ، مُجِدًّا دَائِبَ الْعَمَلِ، وَأَمْلَهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ، فَكَانَ
مِنَ التَّلَامِيذِ النُّجَبَاءِ الَّذِينَ فُرِزُوا^(١) لِإِلْحَاقِهِمْ بِمَدْرَسَةِ
قَصْرِ الْعَيْنِي.

فَانْشَرَحَ صَدْرُهُ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي
تَخْرَجُ فِيهَا «عَنْبَرُ أَفْنَدِي»، بِدُونِ وَاسِطَةٍ، عَازِمًا عَلَى
السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى نَهَايَتِهِ، الَّتِي رَسَمَهَا لِنَفْسِهِ بَيْنَ
الْحُكَّامِ وَالْكَبْرَاءِ وَالْعُظَمَاءِ.

لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مَدْرَسَةَ (قَصْرِ الْعَيْنِي)^(٢) كَمَا كَانَ
يَتَخَيَّلُ، وَوَجَدَهَا بَعِيدَةً كُلَّ الْبُعْدِ عَمَّا سَمِعَ مِنْ فَرَّاشٍ
«عَنْبَرُ أَفْنَدِي»، حَتَّى اعْتَقَدَ بَأَنَّ مَا حُكِيَ لَهُ عَنْهَا أَوْهَامٌ

(١) فُرِزُوا : عَزَلُوا عَنْ غَيْرِهِمْ.

(٢) دَخَلَ مَدْرَسَةَ قَصْرِ الْعَيْنِي ١٢٥١/١٨٣٥ وَعَمْرُهُ ١٢ عَامًا.

من نَسَجِ الْخِيَالِ، فَقَدْ كَانَ الْقَائِمُونَ عَلَى التَّعْلِيمِ
يُؤْذُونَ التَّلَامِيذَ بِالضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَلَا
حَرَجٍ.

وكانت مفروشاتهم حُصِرَ^(١) الحَلْفَا^(٢) وأحرمة
الصوف الغليظ وكان يكره الطعام الذي يُقدَّم لهم
لرداءته، ولا يأكل غير الجبن والزيتون. وضاعت به
الدُّنيا، وودَّ لو تخلص من هذه المدرسة وسار في
طريق غير طريقها.

وقد حاول أبوه أن يخلصه من هذا النظام الذي
سيحرمه من ابنه، وحاول هو أن يخلص نفسه منه
بالهروب، وقد تيسر له أكثر من مرة لكنه تذكر أهله
وما سوف يصيبهم من البلاء الشديد إذا فرَّ هاربًا.

فقد كانوا يطلبون الفارين في كل مكان، ويقبضون
على أهلهم، ويُقيّدونهم بقيود من حديد، ويُهينونهم

(١) حصر: بساط صغير يجلس عليه. والمفرد: حصيرة.
(٢) الحلفا: نبات أطرافه محددة ينبت في الأرض قليلة المياه.

أكبر إهانة، فعدل عن فكرة الهروب حفاظاً على أهله.
حتى نقلت المدرسة إلى «أبي زعبل»، لتصبح مدرسة
«قصر العيني» مدرسة خاصة بالطب.

فظن أنها ستكون شيئاً جديداً مريحاً، فوجدها
لا تختلف عن مدرسة قصر العيني، وعاد يفكر في
الفرار منها، لاسيما وهو يكره علوم الهندسة،
والحساب، والنحو التي تدرس فيها، فقد كانت لديه
أثقل المواد، وكان كلام المعلمين عنده مثل كلام
السحرة الذي لا يفهم.

وإذا بالخط يبتسم له بعد ذلك اليأس، فبيعت إليه
من يحببه في تلك العلوم التي يكرهها.

فقد كان ناظر المدرسة «رأفت أفندي»، يتألم لحال
المُتأخرين من التلاميذ في الدراسة، وعدم قدرتهم
على السير مع زملائهم، ففكر في طريقة يُنقذهم بها،
فجمعهم معاً، وجعلهم كلهم في فرقة واحدة مستقلة،

كَانَ عَلَىٰ مِنْهُمْ، بَلْ كَانَ آخِرَهُمْ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ مُعَلِّمَ هَذِهِ
الْفِرْقَةِ.

وَفِي أَوَّلِ دَرَسِ أَلْقَاهُ عَلَيْهِمْ، شَرَحَ لَهُمُ الْمَقْصُودَ مِنَ
الْهَنْدَسَةِ وَمِنْ رُمُوزِهَا، بِمَعْنَى وَاضِحٍ وَأَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ
سَهْلَةٍ، فَاِنْفَتَحَ قَلْبُ عَلِيٍّ لَهُ وَفَهُمَ كُلُّ مَا قَالَهُ، وَأَقْبَلَ
التَّلَامِيذُ عَلَى دُرُوسِهِ إِقْبَالًا شَدِيدًا.

خِلَافَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ، الَّذِينَ ظَلَّ تَلَامِيذُهُمْ
يَكْرَهُونَ مَوَادَّهُمْ، وَيَكْرَهُونَهُمْ مِنْ أَجْلِهَا؛ فَلَمْ تَكُنْ
لَدَيْهِمْ تِلْكَ الطَّرِيقَةُ السَّهْلَةُ الْوَاضِحَةُ، وَكَانَ سَيْرُهُمْ
عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، هُوَ الْمَانِعُ لِتَلَامِيذِهِمْ مِنَ الْفَهْمِ.

أَحَبَّ عَلَى بَعْدَ ذَلِكَ الْهَنْدَسَةَ الَّتِي كَانَ يَرَاهَا أَلْغَا^(١)
لَا تُحَلُّ، وَالْحِسَابَ الَّذِي كَانَ يَنْفِرُ مِنْهُ، بِفَضْلِ هَذَا
الْمُعَلِّمِ الْجَلِيلِ وَطَرِيقَتِهِ السَّهْلَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا إِقْبَالًا
شَدِيدًا، وَتَفَوَّقَ فِيهِمَا حَتَّى كَانَ أَوَّلَ فِرْقَتِهِ.

(١) أَلْغَا: كَلَامًا غَامِضًا. وَالْمَفْرَدُ: لُغْزٌ.

أَمَّا النَّحْوُ فَبَقِيَ فِيهِ عَلَى حَالَتِهِ الْأُولَى، لِعَدَمِ تَغْيِيرِ
الْمُعَلِّمِ وَلَا طَرِيقَةِ التَّعْلِيمِ السَّيِّئَةِ.

وانفتح البابُ أمامَ الفتى المُتفوقِ، ليسيرَ في الطريقِ
الَّذِي يَهْوَاهُ، فَكَانَ مِمَّنْ اخْتِيرُوا لِلدِّرَاسَةِ بِمَدْرَسَةِ
الْمُهَنْدِسْخَانَةِ، فَدَخَلَهَا وَجَدَّ فِيهَا، وَظَهَرَتْ بَرَاعَتُهُ فِي
عُلُومِهَا، وَقَضَى بِهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ، كَانَ فِيهَا دَائِمًا
أَوَّلَ فَرَقَتِهِ، وَمَحَلَّ إعْجَابِ الْمُعَلِّمِينَ وَالنُّظَارِ وَغَيْرِهِمْ.



أسئلة الفصل الرابع

أجب عن الأسئلة التالية:

(١) ما موقف على مبارك من المشهد الذى رأى فيه عنبر أفندى؟

(٢) ما سر احترام الناس لهذا الرجل؟ وكيف وصل إلى ذلك المنصب؟

(٣) ما المدرسة التى تخرج فيها عنبر أفندى؟ وكيف دخلها؟

(٤) ما المدرسة التى صمم «على مبارك» على دخولها؟

(٥) لماذا صمم «على مبارك» على دخول تلك المدرسة؟

(٦) تخير الإجابة الصحيحة لما يلي مما بين القوسين:

(أ) شرط دخول مدرسة «قصر العينى»

(الاجتهاد – الواسطة – الصدق)

(ب) عندما تعرف على مبارك على تلاميذ منية العز

(سَخَرُوا مِنْهُ – ابْتَعَدُوا عَنْهُ – أُعْجِبُوا بِهِ)

(ج) كانت مفروشات مدرسة قصر العينى

(السجاد – حصر الحَلَفَا – القطن والحريز)

(د) عرف «على مبارك» سر عظمة المأمور من:

(والده – الفرَّاش – التلاميذ)

(٧) ماذا كان يتخيل على مبارك عن مدرسة قصر العيني؟
وما الحقيقة التي وجدها؟

(٨) فيم فكر على مبارك بعد أن عرف حقيقة المدرسة؟

(٩) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

(أ) دخل على مبارك مدرسة قصر العيني بالواسطة. ()

(ب) عدل على مبارك عن فكرة الهروب من المدرسة حفاظاً على أهله. ()

(ج) نقلت مدرسة قصر العيني إلى أبي زعبل لتصير مدرسة خاصة بالطب. ()

(د) اختير على مبارك للدراسة بمدرسة المهندسخانة وظهرت براعته في علومها. ()

الفصل الخامس

فى فرنسا

وَيَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يُكَافِيََ هَذَا التَّلْمِيزَ النَّجِيبَ عَلَى جَدِّهِ
وَاجْتِهَادِهِ، وَأَخْلَاقِهِ الْفَاضِلَةِ، وَتَطَلُّعِهِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي
يَخْدُمُ فِيهِ أُمَّتَهُ، فَيُهَيِّئَ لَهُ سِيَاحَةً إِلَى أَوْرَبَا، الَّتِي ذَاغَ
صِيتُ حَضَارَتِهَا، وَمَدَارِسُهَا، وَمَعَاهِدُهَا، لِيَتَزَوَّدَ مِنْهَا
خَيْرَ زَادٍ يَحْبُّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَيَحَقِّقَ طُمُوحَهُ
الَّذِي لَازَمَهُ مِنْذُ الصَّغَرِ.

فَشَدَّ الرِّحَالَ إِلَيْهَا، شَدِيدَ الْفَرَحِ بِمَا سَيَجْنِي مِنْ
مُشَاهَدَاتِهِ هُنَاكَ، يَتَمَنَّى أَنْ يَجِدَ شَيْئًا يَعُودُ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ
وَيَنْفَعُ بِهِ أُمَّتَهُ.

فَفِي سَنَةِ ١٢٦٥ مِنْ الْهَجْرَةِ، أَرَادَ مُحَمَّدٌ عَلَى أَنْ
يُرْسَلَ أَنْجَالَهُ إِلَى فَرَنْسَا لِيُتِمُّوا تَعْلِيمَهُمْ فِيهَا، وَرَأَى

أَنْ يُرَافِقَهُمْ فِي سَفَرِهِمْ بَعْضٌ مِنْ نُجَبَاءِ^(١) مَدْرَسَةِ
الْمُهَنْدِسِخَانَةِ، فَكَانَ عَلَى مُبَارَكٍ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَقَعَ
الِاخْتِيَارُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَئِكَ التَّلَامِيذِ.

وَكَانَ نَاضِرُ الْمَدْرَسَةِ يَعْرِفُ كِفَاءَتَهُ وَقَدْرَتَهُ عَلَى
التَّعْلِيمِ فِيهَا، فَأَرَادَ أَنْ يُبْقِيَهِ لِيَكُونَ مِنْ بَيْنِ مُعَلِّمِيهَا،
وَجَعَلَ يُحِبُّهُ فِي رَفْضِ السَّفَرِ، وَأَكَّدَ لَهُ أَنَّهُ إِذَا بَقِيَ
وَلَمْ يُسَافِرْ، نَالَ عَلَى الْفَوْرِ رُتْبَةَ الْمُعَلِّمِ وَمُرَّتَبَهُ، أَمَا إِذَا
سَافَرَ فَسَيُظَلُّ تَلْمِيذًا.

وَجَعَلَ هُوَ وَمُعَلِّمُو الْمَدْرَسَةِ يُلْحُونَ عَلَيْهِ فِي الْبَقَاءِ،
وَيَحْسِنُونَهُ لَهُ بِكُلِّ الطَّرِيقِ، حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ يَطَاوَعَهُمْ
لَأَنَّ أَهْلَهُ فَقَرَاءُ يُعْطِيهِمْ مِنْ مُرَّتَبِهِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ،
فَإِذَا سَافَرَ انْقَطَعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْمَدَدُ.

لَكِنَّهُ يَعْرِفُ قِيَمَةَ هَذَا السَّفَرِ، وَمَا سَيَجْنِي مِنْ وَرَائِهِ،
لِنَفْسِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ وَأُمَّتِهِ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ، وَأَبْعَدَ فِكْرَةَ

(١) نجباء: متفوقون. والمفرد: نجيب.

البقاء عن رأسه، وفضل أن يرحل في طلب العلم
والمعرفة والثقافة، ففي تلك الرحلة حياة جديدة
وربح كبير.

وسافر مع بقية أعضاء البعثة، وكانوا سبعة
تلميذاً، فتحت لهم هناك مدرسة خاصة بهم، وقدر لكل
منهم جنيهان في الشهر، فلم ينس ذلك الشاب العطوف
أهله، وترك لهم في مصر نصف مرتبه، كما كان يفعل
منذ أن فرض له مرتب من المدارس التي دخلها في
مصر.

ولما انتظم في الدراسة هناك، صادفته عقبة صعبة
كادت تهدم ما بناه كله، فالمدرسون يلقون عليهم
الدروس كلها باللغة الفرنسية، وهو وفريق من أعضاء
البعثة لا يعرفون شيئاً من هذه اللغة.

ومن أجل حل هذه المشكلة، أمر المشرفون من
يعرفون اللغة الفرنسية من الطلبة، أن يُعاونوا من

لَا يَعْرِفُونَهَا، وَيَوْضِّحُوا لَهُمْ مَا يُلْقَى عَلَيْهِمْ مِنَ
الدُّرُوسِ، لَكِنَّ أَوْلَئِكَ الطُّلَابَ بَخِلُوا بِمَعْرِفَتِهِمْ عَلَى
إِخْوَانِهِمْ، وَرَفَضُوا أَنْ يَشْرَحُوا لَهُمْ شَيْئًا، لِيَكُونُوا
هُمْ الْمُتَفَوِّقِينَ دُونَهُمْ.

وَزَلَّ أَوْلَئِكَ التَّلَامِيذُ لَا يَفْهَمُونَ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا
يُقَالُ لَهُمْ، فَامْتَنَعُوا عَنِ الدَّرْسِ، فَحَبَسَهُمُ الْمُشْرِفُونَ
عَلَيْهِمْ، وَكَتَبُوا بِشَأْنِهِمْ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى، فَأَمَرَ بِأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُظْهِرُونَ الطَّاعَةَ، تُوضَعَ فِي أَيْدِيهِمْ قِيُودُ الْحَدِيدِ،
وَيُعَادُونَ سَرِيعًا إِلَى مِصْرَ.

فَمَاذَا يَفْعَلُ عَلَى فِي هَذِهِ الْمُسْكَلَةِ الصَّعْبَةِ؟ وَكَيْفَ
يَحُلُّهَا حَتَّى لَا تَضِيعَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْفُرْصَةُ الثَّمِينَةُ، الَّتِي
عَلَّقَ عَلَيْهَا أَمَلًا كَبِيرًا فِي مُسْتَقْبَلٍ عَظِيمٍ؟

لَمْ يَيَأْسَ ذَلِكَ الطَّالِبُ الشَّجَاعُ الذَّكِيُّ كَمَا يَتَّسَ غَيْرُهُ،
فَهُوَ ذُو عَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ، يَوجِهُ بِهَا الصَّعَابَ وَيَتَغَلَّبُ

عَلَيْهَا، وَكَمْ مِنْ عُقْدٍ اسْتَعَصَتْ عَلَى غَيْرِهِ فَحَلَّهَا هُوَ،
مُعْتَمِدًا عَلَى رَبِّهِ، عَظِيمَ الثِّقَةِ بِنَفْسِهِ!

وَبِسُرْعَةٍ أَحْضَرَ كِتَابًا فَرَنْسِيًّا مِنْ كُتُبِ الْأَطْفَالِ،
وَانْكَبَّ^(١) عَلَيْهِ، يَحْفَظُ مَا فِيهِ حِفْظًا جَيِّدًا، لَا يَنَامُ مِنَ
الَلَّيْلِ إِلَّا أَقْلَهُ، حَتَّى تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ.

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ جَاءَ الْامْتِحَانُ، فَدَخَلَهُ فِي ثِقَةٍ،
وَاجْتَاَزَهُ بِتَفَوُّقٍ، وَكَانَ أَوَّلَ الْمَبْعُوثِينَ جَمِيعًا، وَنَالَ
الْجَائِزَةَ الَّتِي خُصِّصَتْ لِلْمُتَفَوِّقِينَ.

وَأَظْهَرَ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ مَهَارَةً فَائِقَةً، كَانَتْ مَوْضِعَ
التَّقْدِيرِ، فَلَمَّا أَتَمَّ دِرَاسَتَهُ فِي بَارِيسَ، اخْتِيرَ مَعَ
زَمِيلَيْنِ لَهُ مِنْ بَيْنِ التَّلَامِيذِ، لِدِرَاسَةِ الْمِدْفَعِيَّةِ
وَالْهَنْدَسَةِ الْحَرْبِيَّةِ فِي إِحْدَى الْكُلِّيَّاتِ بِفَرَنْسَا، وَمُنِحَ
رُتْبَةُ «مُلَازِمٍ ثَانٍ».

(١) انْكَبَّ عَلَيْهِ: عَكَفَ عَلَيْهِ.

وَفِي سَنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، دَرَسَ هُوَ وَزَمِيلَاهُ مَا
اخْتِيرُوا مِنْ أَجْلِهِ وَأَجَادُوهُ إِجَادَةً تَامَّةً، وَنَالُوا
الإِعْجَابَ الشَّدِيدَ مِنَ الْجَمِيعِ، ثُمَّ التَّحَقَّ الثَّلَاثَةُ بِفِرْقَةٍ
الْمُهَنْدِسِينَ فِي الْجَيْشِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى، قَدْ رَأَى أَنْ يُزَوِّدَ
هَؤُلَاءِ الْمَبْعُوثِينَ بِمَعْرِفَةٍ أَوْسَعَ لِلْبِلَادِ الْأُورُبِّيَّةِ، لِيَرَوْا
مَا فِيهَا مِنَ النَّهْضَةِ وَالتَّقَدُّمِ، وَيَعُودُوا مِنْهَا بِمَا يَحَقُّ
أَغْرَاضَهُ، فَوَضَعَ لَهُمْ بَرْنَامَجًا لَزِيَارَةِ طَوِيلَةٍ فِي تِلْكَ
الْبِلَادِ، فَفَرِحَ عَلَىٰ بِهَا أَشَدَّ الْفَرَحِ، وَأَخَذَ يَسْتَعِدُّ لَهَا.

ثُمَّ انْقَلَبَ سُرُورُهُ حُزْنًا لِفَوَاتِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ الثَّمِينَةِ
الَّتِي لَمْ تَتِمَّ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا قَدْ مَاتَ.

وَلَمَّا تَوَلَّى بَعْدَهُ عَبَّاسُ الْأَوَّلِ، أَمَرَ بِأَنْ يَعُودَ عَلَىٰ
وَزَمَلَاؤِهِ إِلَى مِصْرَ، فَعَادَ شَدِيدَ الْأَلَمِ لَضَيَاعِ تِلْكَ
الْغَنِيمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِرُتْبَةٍ
(الْيُوزْبَاشِي) الْأَوَّلِ، وَعَيَّنَ مُدَرِّسًا فِي مَدْرَسَةِ طُرَّةِ.

وكان أول عمل قام به بعد أن عُيِّن مُدَرِّسًا فى مدرسة طُرة أن قدَّم الخيرَ إلى أسرة أستاذه فى الرسم بمدرسة «أبى زعل»، وكان قد توفى، فتزوج كريمته^(١)، وفاءً لأبيها الذى تركها فقيرةً، وعرفانا لفضله عليه فى التربية والمعروف.

ويقول على مبارك عن نفسه:

ثم حدثتني نفسي أن أستاذن لزيارة أهلى بعد هذه الغيبة الطويلة فكلمت الناظر فى ذلك فقال لى إن من يسافر يقطع نصف ماهيته وأنت الآن محتاج إليها فالأحسن أن تصبر حتى أكلّم سليمان باشا الفرنساوى ليأخذك معه فى مأمورية استكشاف البحيرة^(٢) والسواحل، فإذا حصل ذلك يتم مرغوبك بسهولة، وقد حصل وأخذت المأمورية وسافرت معه.

(١) كريمته : ابنته.

(٢) البحيرة: مجتمع للماء تحيط به الأرض.

ولمَّا كُنَّا بدمياط انفصلتُ عنه في جهةٍ من المأمورية،
وبعدَ أن مسحتُ^(١) البحيرةَ وحررتُ^(٢) جُرْنَا^(٣) لها
ورسمتها؛ ذهبْتُ إلى بلدِنا «برنبال» - وكان أهلي قد
رجعوا إليها قبلَ ذلكَ بِمدَّةٍ - فوجدتُ أنَّ أبى قد سافرَ
إلى مصرَ لزيارتي، ولمَ أجدُ في المنزلِ إلَّا والدتي
وبعضَ إخوتي.

وكانَ دخولي عليهمَ ليلاً فطرقتُ البابَ فقيلَ: مَنْ
أنت؟ فقلتُ: ابنُكم على مبارك - وكانت مدَّةُ مفارقتي
لأمِّي أربعَ عشرةَ سنةً لمَ ترني فيها ولا سمعتُ
صوتي^(٤) - فقامت مدهوشةً إلى ما وراءَ البابِ،
وجعلت تنظرُ وتحدُّ النظرَ - وكنتُ بقيافةٍ^(٥)
العسكريَّةِ الفرنسيَّةِ لابساً سيفاً وكسوةَ تشریفٍ -

(١) مسح: قاس (قام بقياسها).

(٢) حرر: وثق وسجّل.

(٣) جرن: موضع واسع تجف فيه الثمار وتدرس. والجمع: أجران.

(٤) وكان ذلك بسبب النظام التعليمي الذي يقتطع التلميذ من أهله فلا يخرج إليهم أبداً حتى

بعد تخرجه.

(٥) قيافة: الزي العسكري.

وكررت السؤال حتى علمت صدقي ففتحت الباب وعانقتني ووقعت مغشياً عليها، ثم أفاقت وجعلت تبكي وتضحك وتزغرد، وجاء أهل البيت والأقارب والجيران، وامتألاً المنزل ناساً وبقينا كذلك إلى الصباح، والناس بين ذاهب وآيب، ثم رأيت والدتي في حيرة فيما تصنعه لي من الإكرام، وتريدُ عملَ وليمة^(١) وهي فارغة اليد، ورأيته تبكي ففهمت حقيقة الحال، فناولتها عدة عملات ذهبية كانت بجيبِي ففرحت وأولمت؛ فأقمت عندهم يومين ثم استأذنتهم ووعدتهم بالعودة.

ولمَّا رجعنا إلى المحروسة^(٢) استأذنت وسافرت إلى الإسكندرية بعيالي وأخ وأخت لي صغيرين كنت أربيهما، فلمَّا وصلت هناك تركتهم في المركب، وذهبت إلى جاليس بك؛ فوجدت عنده سليمان باشا

(١) وليمة: كل طعام يصنع للعرس وغيره. والجمع: ولائم.

(٢) المحروسة: وصف غلب على القاهرة عاصمة مصر.

الفرنساوى قد سبقنى، وكذا غيرُه من الأمراءِ
والضُّباطِ؛ فجلستُ بعدَ أداءِ الواجبِ وبينما فنجانُ
القهوةِ بيدى إذا بمكتوبٍ وارِدٍ بالإشارةِ من عباس
باشا بطلبى حالاً.



أسئلة الفصل الخامس

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) لماذا تطلع على مبارك للسفر إلى أوروبا؟
(٢) مَنْ الذى رشح على مبارك للسفر؟ ولماذا؟
(٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

- (أ) فرح ناظر المدرسة بسفر على مبارك. ()
(ب) وافق على مبارك على البقاء فى مصر ورفض السفر. ()
(ج) كان عدد أعضاء البعثة سبعين تلميذاً. ()
(د) كانت الدراسة للتلاميذ باللغة الإنجليزية. ()
(٤) ما الصعاب التى واجهها على مبارك؟ وكيف تغلب

عليها؟

- (٥) ما الأمر الذى أصدره الخديو لتلاميذ البعثة؟ ولماذا؟

(٦) لماذا اختير على مبارك لدراسة المدفعية والهندسة الحربية؟

(٧) كيف عبر على مبارك عن وفائه لأسرة أستاذه؟

(٨) صف حال أم على مبارك عند زيارته لهم.

(٩) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X)

أمام غير الصحيحة مع تصويبها:

(أ) عُين على مبارك مدرسًا بمدرسة طرة. ()

(ب) كانت زيارة على مبارك لأهله ضمن مأمورية استكشاف

البحيرة. ()

(ج) أعدت أم على مبارك وليمة لأهل البلدة بمناسبة زيارة

ابنها. ()

(د) سافر على مبارك إلى الإسكندرية بعد عودته إلى المحروسة

ومعه والده وأمه. ()

الفصل السادس

وزير التربية والتعليم

وكانَ علىَّ معروفًا بسَعَةِ^(١) اطلاعهِ وِغْزارَةِ علمه
وثقافتهِ، وقدرتهِ على إدارةِ ما يُكَلَّفُ بهِ^(٢) من الأعمالِ،
وإنْ لَمْ تَكُنْ في تَخْصُّصِه الهندسيِّ، فَأُسْنَدَتِ إِلَيْه
أُمُورٌ عَجَزَ غَيْرُهُ عَنِ النُّهُوضِ بها، فقامَ بها خيرَ قيامٍ،
مِمَّا زَادَ الثَّقَّةَ بِهِ والاعتمادَ عَلَيْهِ.

ومضى صاعداً في درجاتِ المجدِ الَّتِي كانَ يَتَمَنَّاها،
حَتَّى أُسْنَدَ إِلَيْه عباسُ أَكْبَرَ منصبٍ في مَيدانِ التعليمِ.

فتعالَ بنا نرافقه في هذا الميدانِ، لنرى كيفَ أدارَهُ
ذلكَ المهندسُ القديرُ، ونالَ^(٣) فِيهِ أعْظَمَ تَقْدِيرٍ.

(١) بسعة: اتساع.

(٢) يكلف به: يؤمر به.

(٣) نال: حصل على.

لَمْ يَكُنْ لِلْمَدَارِسِ الْمَصْرِیَّةِ حِینْذَاكَ قَانُونٌ یُنْظَمُ
سَیْرَ التَّعْلِیمِ فِیْهَا، وَیُؤَدَّى الْفَائِدَةُ مِنْهُ، فَأَرَادَ عَبَّاسٌ أَنْ
یَضَعَ لَهَا ذَلِكَ الْقَانُونَ، وَلَمَّا كَلَّفَ بَعْضَ الْمُخْتَصِّصِینَ
بَوَضْعِهِ، لَمْ یَسْتَطِیعُوا أَنْ یَحَقِّقُوا الرِّغْبَةَ الْمَطْلُوبَةَ
مِنْهُ.

فَدَعَا الْعَالَمَ الْجَلِیلَ عَلَی مَبَارَکَ، وَأَسْنَدَ إِلَیْهِ ذَلِكَ
الْعَمَلَ، فَوَضَعَهُ وَعَرَضَهُ عَلَیْهِ فَنَالَ إِعْجَابَهُ، وَهَنَّاهُ
عَلَى قُدْرَتِهِ وَدِقَّتِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَیْهِ بِرَتْبَةِ «الْأَمِیرِ آلَی»^(١)،
وَعَیَّنَهُ نَاضِرًا^(٢) لِلْمَدَارِسِ، فَكَانَ أَوَّلَ وَزِیرٍ مِصْرِیٍّ
تَوَلَّى هَذَا الْعَمَلَ، وَكَانَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ فِی أیدی الْأَجَانِبِ
یَعْبَثُونَ فِیْهِ كَمَا یَشَاءُونَ.

(١) الْأَمِیرُ آلَی: رَتْبَةٌ مِنْ رَتَبِ الْجِیْشِ.

(٢) نَاضِرًا: وَزِیرًا.



تلاميذ على مائدة الطعام ووزير التعليم يجلس أمامهم

وَقَدْ أُعْطِيَ ذَلِكَ الْعَالَمُ الْفَاضِلُ التَّعْلِيمَ أَكْبَرَ رِعَايَةٍ
وَأَجَلَّهَا^(١)، فَكَانَ يَضَعُ بِنَفْسِهِ الْكُتُبَ لِلْمَدَارِسِ أَوْ
يَعَاوَنُ الْمُعَلِّمِينَ فِي تَأْلِيفِهَا.

وَلَمْ تَشْغَلْهُ أَعْمَالُهُ الْكَثِيرَةُ عَنِ الْإِشْرَافِ عَلَى مَا كُلِّ
التَّلَامِيذِ، وَمَلْبَسِهِمْ، وَرَاحَتِهِمْ، وَتَعْلِيمِهِمْ، فَيَعْلَمُ
بِنَفْسِهِ التَّلَامِيذَ كَيْفَ يَلْبَسُ، وَكَيْفَ يَأْكُلُ، وَكَيْفَ يَقْرَأُ
وَيَكْتُبُ...

وَيَلَاحِظُ الْمُعَلِّمَ، كَيْفَ يُلْقِي الدَّرُوسَ، وَكَيْفَ يُؤَدِّبُ
التَّلَامِيذَ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصْنَعَ، لِيَنْشَأَ
التَّلَامِيذُ صَحِيحًا، وَاعِيًا، قَادِرًا عَلَى خِدْمَةِ بِلَادِهِ.

فَلَا يَمُضِي يَوْمٌ إِلَّا وَيَدْخُلُ عِنْدَ كُلِّ فِرْقَةٍ^(٢)، وَيَتَفَقَّدُ
أَحْوَالَهَا^(٣)، وَيُشَدِّدُ عَلَى الضُّبَاطِ وَالْخِدْمَةِ فِي الْقِيَامِ
بَأَعْمَالِهِمْ خَيْرَ قِيَامٍ، وَلَمْ يَكْفِهِ ذَلِكَ أَدَاءً لَوَاجِبِ الْوَطَنِ،
فَكَانَ يُلْقِي دُرُوسًا فِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ أَيْضًا.

(١) أَجَلَّهَا: أَعْظَمَهَا.

(٢) فِرْقَةٌ: صَفٌّ دَرَّاسِيٌّ.

(٣) يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهَا: يَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا.

أسئلة الفصل السادس

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) بم عُرف على مبارك؟
- (٢) ما الأمر الذى أسند إلى على مبارك فى ميدان التعليم؟
- (٣) كيف كان حال المدارس المصرية حينذاك؟

(٤) أكمل الجمل الآتية بما يناسبها من خلال فهمك للموضوع:

- وضع على مبارك للتعليم نال إعجاب الخديو.
- أعطى العالم الفاضل التعليم أكبر وأجلها.
- كان على مبارك يضع بنفسه للمدارس.
- كان على مبارك أول مصرى تولى هذا العمل.
- كان التعليم من قبل ذلك فى أيدي يعبثون فيه.

(٥) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ فيما يلى:

- (أ) عمل على مبارك فى تخصصه فقط. ()
- (ب) أهمل على مبارك شئون تلاميذه. ()

(ج) كان على مبارك يلقي الدروس بنفسه. ()

(د) نجح على مبارك في وضع قانون ينظم سير التعليم في

المدارس المصرية. ()

(هـ) كان على مبارك متخصصًا في الطب والهندسة. ()

الفصل السابع

صعاب وعقبات

هل سارت حياة على مبارك رحية^(١) هنيئة كما رأينا
تتحقق له الطموحات^(٢) وتسعى إليه المناصب؟ أم أن
رياحا عاتية^(٣) كانت تنتظره؟

إن الحياة ليست نعيمًا دائمًا، ولا شقاءً متصلاً،
وإنما هي مزاجٌ منهما: فوقتُ نعيمٌ وراحة، وأوقاتُ
تعَبٍ وشقاء. أو أوقاتُ نعيمٍ وراحة. ووقتُ تعَبٍ
وشقاء. فقد ظلت حياة على مبارك رحية هنيئة طيلة
حكم عباس، فلما ذهب وجاء سعيد، وجد أعداء على
وحُسادَه من أذنى الوالى الجديد، وعاءً واسعاً

(١) رحية: واسعة ناعمة والمذكر منها: رحيّ.

(٢) الطموحات: التطلعات ومفردُها الطموح.

(٣) عاتية: جبارة شديدة.

صَبُّوا فِيهِ أَكَاذِيْبَهُمُ الْمَحْبُوكَةَ^(١)، فَأَبْعَدَهُ عَنِ نِظَارَةِ
الْمَعَارِفِ.

ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُبْعِدَهُ عَنِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا، فَانْتَهَزَ فُرْصَةَ
إِرْسَالِ فِرْقَةٍ مِنَ الْجَيْشِ الْمَصْرِىِّ لِمُسَاعَدَةِ الدَّوْلَةِ
الْتُرْكِيَّةِ فِي حُرُوبِهَا مَعَ رُوسِيَا، وَأَمَرَ بِالْحَاقِ عَلَى بِهَا
لِيَذْهَبَ وَلَا يَرْجِعَ.

وَكَانَ جَمِيلاً وَمَوْثِرًا أَنْ يَخْرُجَ تَلَامِيذُ الْمَدَارِسِ
وَصِبْيَانُهَا وَمُعَلِّمُوهَا، لِتَوْدِيْعِهِ وَهُوَ مُسَافِرٌ، يُنْشِدُونَ
الْأَنَاشِيدَ وَيَهْتَفُونَ الْهَتَافَاتِ الصَّادِرَةَ مِنْ صَمِيمِ
أَفْئِدَتِهِمْ^(٢)، اعْتِرَافًا بِأَعْمَالِ هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي
يَنْكُرُهَا حُسَّادُهُ وَشَانِئُوهُ^(٣).

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْإِبْعَادُ خَيْرًا وَبَرَكَةً عَلَى هَذَا الرَّجُلِ
الْمُحِبِّ لِلْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ، فِي الْمَدَّةِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي

(١) المحبوكَة: المُحكَّمة.

(٢) أفئدة: قلوب. ومفردُها: فؤاد.

(٣) شَانِئُوهُ: مبغضوه.

قَضَاهَا هُنَاكَ، عَرَفَ بِلَادًا جَدِيدَةً لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا،
وَتَعَلَّمَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَمْ يَكُنْ تَعْلَمُهَا، وَدَرَسَ اللُّغَةَ
التركيَّةَ، وَكَسَبَ كَثِيرًا مِنْ صَدَاقَاتِ الرِّجَالِ، الَّذِينَ
أُعْجِبُوا بِهِ وَقَدَّرُوهُ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالنَّجَاحِ.

وَلَمَّا عَادَ إِلَى الْبِلَادِ، لَمْ يَلِقَ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى تِلْكَ
الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ غَيْرَ الْفَصْلِ مِنْ خِدْمَةِ الْجَيْشِ
وَالْحُكُومَةِ، فَأَقَامَ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ بِالْقَاهِرَةِ كَانَ قَدْ
اسْتَأْجَرَهُ وَسَكَنَ فِيهِ، وَمَعَهُ أَخٌ لَهُ وَابْنَةٌ أَخٌ كَانَ يُرَبِّيَهَا
وَيُعَلِّمُهَا.

وَعَاشَ فَقِيرًا مُتَأَلِّمًا، فَقَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَا كَانَ لَهُ مِنْ
الْأَمْوَالِ وَالْمَنَاصِبِ.

وَوَجَدَ أَنَّهُ لَا دَاعِيَ لِبَقَائِهِ فِي الْقَاهِرَةِ مَعَ الْحَالَةِ
الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ، وَيُقِيمَ
بِالرِّيفِ، وَيَشْتَغَلَ بِالزَّرَاعَةِ لِيَعِيشَ مِنْهَا.



وبَيْنَمَا هُوَ يَسْتَعِدُّ لِلسَّفَرِ إِلَى «برنبال»، عَلِمَ أَنَّ أَمْرًا
صَدَرَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ بِالذَّهَابِ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَعِنْدَمَا ذَهَبَ
إِلَيْهَا عَرَضُوا عَلَيْهِ وَظِيفَةً لَا تُنَاسِبُ مَقَامَهُ، وَأَمَامَ
الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ، اضْطُرَّ إِلَى قَبُولِهَا.

ثُمَّ تَوَلَّى بَعْضَ الْوُظَائِفِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا تُنَاسِبُهُ، فَلَمْ
يَدَعْ أَوْقَاتَهُ تَضِيعُ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَشَغَلَ نَفْسَهُ بِالتَّأْلِيفِ
الَّذِي يَهْوَاهُ، فَوَضَعَ كِتَابًا فِي الْهَنْدَسَةِ، وَآخَرَ فِي
الْإِسْتِحْكَامَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَسَوِّقِ الْجِيُوشِ^(١)، وَكِتَابَهُ
«تَذْكَرَةُ الْمُهَنْدِسِينَ».

وَلَكِنْ، حَتَّى هَذِهِ الْوُظَائِفُ الصَّغِيرَةُ لَمْ تَدُمْ لَهُ، فَقَدْ
أَمَرَ سَعِيدٌ بِفُضْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْظُفِينَ كَانَ هُوَ مِنْ
بَيْنِهِمْ، فَعَادَ إِلَى الْبَطَالَةِ وَالْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ مَرَّةً
أُخْرَى، فَتَرَكَمَتْ عَلَيْهِ الدُّيُونُ، وَاشْتَدَّ بِهِ الضِّيقُ
فَمَاذَا يَعْمَلُ؟

(١) سوق الجيوش: قيادتها.

سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِهِ، فَسَاقَ إِلَيْهِ
الْفَرَجَ. وَفَتَحَ لَهُ بَابَ الرِّزْقِ فِي عَمَلٍ حُرٍّ، بَعِيدٍ عَنِ
الْوِظَائِفِ وَتَقْلِبَاتِهَا وَدَسَائِسِهَا^(١).

فَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُهُ فِي الْمَسْكَنِ صَدِيقُهُ إِسْمَاعِيلُ بَاشَا
الْفَرِيقِ، وَكَانَ مَكْلَفًا مِنَ الْحُكُومَةِ بِالْإِشْرَافِ عَلَى بَيْعِ
مُهِمَاتٍ وَعَقَارَاتٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا تَمْلُكُهُ، بِالْمِزَادِ، فَصَحِبَهُ
إِلَى مَكَانِ ذَلِكَ الْمِزَادِ، لِيُسَلِّي نَفْسَهُ.

وَفُتِحَ الْمِزَادُ، وَبَدَأَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ، وَتَقَدَّمَ التَّجَارُ
يُعْطُونَ أَثْمَانًا زَهِيدَةً لِمَا يُبَاعُ، وَنَظَرَ عَلَى وَسَمِعَ،
فَأَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ مِمَّا يَرَى وَيَسْمَعُ، وَجَعَلَ يَحْدُثُ نَفْسَهُ
فِي عَجَبٍ:

– يَا اللَّهُ! هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الثَّمِينَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ،
تُبَاعُ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ^(٢)!

(١) دَسَائِسُهَا: مَكَائِدُهَا وَحِيلُهَا الْخَفِيَّةُ وَمُفْرَدُهَا دَسِيسَةٌ.

(٢) أَبْخَسُ الْأَثْمَانِ: أَقْلَاهَا.

هذه الأدوات من أدوات المهندسخانة الغالية،
أعرفها جيداً! ما بالها تُلْقَى للتجّار كأنّها أشياء باليةٌ
لا تُساوى شيئاً؟!

وهذه كُتُبِي الَّتِي أَنْفَقْتُ فِي تَأْلِيفِهَا الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي،
تُبَاعُ بِتِلْكَ الْأَثْمَانِ الزَّهِيدَةِ^(١)، وَهِيَ لَا تُقَدَّرُ بِمَالٍ!

خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ أَنْ يُفَرِّطُوا^(٢) فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
النَّادِرَةِ^(٣)، مِنَ الْفِضِّيَّاتِ، وَالْمَرَايَا، وَالسَّاعَاتِ،
والمفروشات...!

ويا ليت التجّار يدفعونَ تِلْكَ الْأَثْمَانَ الْقَلِيلَةَ عَلَى
الفورِ، بَلْ يُؤَجِّلُونَهَا إِلَى آجَالٍ بَعِيدَةٍ، فَيَنَالُونَ مِنْ ذَلِكَ
أَرْبَاحًا كَثِيرَةً!

ثُمَّ تَذَكَّرَ حَاجَتَهُ الشَّدِيدَةَ إِلَى الْمَالِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

(١) الزهيدة: القليلة.

(٢) يفرطوا: يضيعوا.

(٣) النادرة: القليلة.

– لِمَ لَا أَدْخُلُ هَذَا الْمِيدَانَ، فَلَا تَنْقُصُنِي الْمَهَارَةَ
فِيهِ؟! سَادَخْلُهُ وَلَكِنِّي لَنْ أَبْخَسَ الْأَشْيَاءَ أَثْمَانَهَا، فَهِيَ
مَالُ الدَّوْلَةِ، وَحَرَامٌ أَنْ يُنْهَبَ بِطَرِيقَةٍ تِلْكَ الْمَزَادَاتِ، بَلْ
أَعْطِيهَا حَقَّهَا، وَأَكْتَفِيَ بِالرَّيْحِ الْقَلِيلِ الْحَلَالِ!

وَدَخَلَ هَذِهِ السُّوقَ، وَأَبْدَى فِيهَا مَهَارَةً كَبِيرَةً فِي
الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فَتَدَفَّقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْبَاحُ. وَكَلَّمَا زَادَ رِبْحُهُ
زَادَ إِقْبَالُهُ عَلَى الْعَمَلِ، حَتَّى كَادَ يَقْنَعُ بِهِذِهِ الْحَالِ،
وَيَنْسَى عِلْمَهُ وَمَعَارِفَهُ.

لَكِنَّهُ كَانَ يَحِنُّ إِلَى خِدْمَةِ وَطَنِهِ لِيُؤَدِّيَ حَقَّهُ عَلَيْهِ،
فَيَعُودُ إِلَى وَظِيفَةٍ تَمَكَّنُهُ مِنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ الْجَلِيلَةِ.

ثُمَّ صَرَفَهُ اضْطِرَابُ الْحَالِ فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ عَنْ
وِظَائِفِ الْحُكُومَةِ، حَتَّى تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ، فَتَحَرَّكَ فِي
صَدْرِهِ أَدَاءُ الْوَاجِبِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْمَكَاسِبِ الْكَبِيرَةِ
مِنَ الْعَمَلِ الْحَرِّ، وَقَبِلَ الدَّعْوَةَ الَّتِي جَاءَتْهُ لِلْعَمَلِ مِنَ
الْوَالِي الْجَدِيدِ إِسْمَاعِيلِ.

ونَهَضَ بِقُوَّةٍ يُوَدِّي لِلْوَطَنِ أَجَلَ الْخِدْمَاتِ، الَّتِي
تُذَكِّرُ لَهُ بِكُلِّ تَقْدِيرٍ وَإِكْبَارٍ.

بَدَأَ إِسْمَاعِيلُ حُكْمَهُ بِالْبَحْثِ عَنِ الرِّجَالِ الَّذِينَ
يَعَاوَنُونَهُ فِي الْعَمَلِ، مِنَ الْأَنْكِيَاءِ الْقَادِرِينَ، الْمَشْهُورِينَ
بِالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ..

فَاهْتَدَى إِلَى عَلَى مَبَارَكٍ، الْعَالِمِ الْجَلِيلِ، الَّذِي ذَاعَ
صِيَّتُهُ^(١)، وَانْتَشَرَتْ أَخْبَارُ قُدْرَتِهِ، وَصَبْرِهِ عَلَى الْعَمَلِ،
وَنَشَاطِهِ، وَتِجَارِبِهِ الْوَاسِعَةِ، وَحُبِّهِ الشَّدِيدِ لِبِلَادِهِ،
فَدَعَاهُ إِلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ فِي بَشَاشَةٍ^(٢)
وَاحْتِرَامٍ:

– أَنْتَ يَا عَلَى رَجُلٌ عَظِيمٌ، سَمِعْتُ عَنْكَ الْكَثِيرَ
الْمَشْرِفَ، وَأَعْجَبْتَنِي جَرَأَتُكَ، وَعِزَّةُ نَفْسِكَ، وَقُدْرَتُكَ
عَلَى الْعَمَلِ، وَسُرْعَةُ إِنْجَازِكَ إِيَّاهُ^(٣) عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ.

(١) ذَاعَ صِيَّتُهُ: اشتهر.

(٢) بَشَاشَةٌ: ابتسامة.

(٣) إِنْجَازُكَ: سرعة إتمامك للعمل.



الخدّيو إسماعیل ومعه علی مبارک

وَإِذَا كَانَ غَيْرِي مَمَّنْ سَبَقُونِي، لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرَكَ
الْكَبِيرَ، فَأَنَا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا، وَأَوَدُّ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي يَدِي؛
لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ وَرَفْعِ شَأْنِهَا، وَقَدْ أَلْحَقْتُكَ بِمَعِيَّتِي^(١)
لِتَكُونَ دَائِمًا بجانِبِي، وَأَطْلَقْتُ يَدَكَ فِي الْعَمَلِ.

فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ، وَانْهَضَ مَعِيَ بِقُوَّةٍ، لَتَنْهَضَ
بِلَادُنَا وَتَرْقَى حَتَّى تَبْلُغَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي نَطْمَحُ
إِلَيْهَا.

سُرَّ عَلَىٰ بِهَذِهِ الْفُرْصَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَ يَتَحَيَّنُهَا^(٢)،
فَقَدْ أُسْنِدَ إِلَيْهِ إِدَارَةُ كَثِيرٍ مِنْ مُرَافِقِ الدَّوْلَةِ فَشَمَّرَ عَنْ
سَاعِدِ الْجَدِّ وَكَانَتْ لَهُ يَدُ إِصْلَاحٍ وَتَعْمِيرٍ فِي كُلِّ هَذِهِ
الْمُرَافِقِ فَمَا مِنْ مَشْرُوعٍ تَمَّ، وَلَا عِمْرَانٍ انْتَشَرَ إِلَّا وَلَهُ
فِيهِ يَدٌ مُشْكُورَةٌ. فَقَدْ شَارَكَ فِي إِصْلَاحِ كُلِّ مَنْ:

(١) مَعِيَّتِي: مَعِيَ، أَيْ حَاشِيَّتِي.

(٢) يَتَحَيَّنُهَا: يَتَرَقَّبُهَا.

المستشفيات - السجون - المجازر^(١) - السكك
الحديدية - أعمال الرّى - شقّ الشوارع في الأحياء
القديمة - الصرف الصحيّ - تنظيم المدن وتخطيطها،
كما أنشأ دار الكتب وكلية دار العلوم.



(١) المجازر: مفردھا المجزّر؛ وهو مكان يتم فيه ذبح الأغنام والأبقار لبيعها.

أسئلة الفصل السابع

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) ما أثر أكاذيب بعض حساد على مبارك على حياته؟
- (٢) كيف ودع تلاميذ المدارس على مبارك عند سفره؟ ولماذا؟
- (٣) إلى أين كان هذا الإبعاد؟ وكيف كان خيرًا وبركة؟
- (٤) ما الجزاء الذى لقيه على مبارك بعد عودته إلى البلاد؟
- (٥) كيف عاش على مبارك بعد عودته؟ وعلى أى شيء عزم؟

(٦) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:

- (١) عُرض على «على مبارك» وظيفة لا تناسب مقامه فرفضها. ()
- (ب) وضع على مبارك كتابًا فى الهندسة، وآخر فى الاستحكامات العسكرية. ()

(ج) أمر سعيد بفصل كثير من الموظفين ما عدا

() على مبارك.

(د) عاد على مبارك إلى البطالة، وتراكت عليه

() الديون.

(٧) ماذا تمنى على مبارك من التجار في المزاد؟

(٨) كيف بدأ إسماعيل حكمه؟ ولماذا اختار على مبارك
لمعاونته؟

(٩) ما الفرصة التي سُر بها على مبارك؟

(١٠) ماذا كان موقف على مبارك بعد اختيار إسماعيل له؟

(١١) اذكر بعضاً من المشروعات التي شارك في إصلاحها
على مبارك.



الفصل الثامن

أبو التعليم

أُسْنَدَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى عَلِيٍّ مَبَارَكِ دِيْوَانِ الْمَدَارِسِ،
فِيْمَا أُسْنَدَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ^(١). فَهَبَّ مُسْرِعًا
بِقُوَّةٍ وَعَزِيْمَةٍ صَارِقَةٍ، يَعْمَلُ فِي هَذَا الْمِيْدَانِ الَّذِي
يَهْوَاهُ، وَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ يَرْتَفَعَ بِهِ،
لِيُخَلِّصَ الْوَطْنَ مِمَّا هُوَ غَارِقٌ فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ، مِنْ
الْفَقْرِ، وَالتَّأَخُّرِ، وَالبُعْدِ الشَّدِيدِ عَمَّا جَدَّ فِي الدُّنْيَا مِنْ
حَضَارَةٍ وَارْتِقَاءٍ^(٢).

(١) الجليّة: العظيمة.

(٢) ارتقاء: تقدم.

لَا يَنْسَى أَنَّهُ ابْنُ الْقَرْيَةِ الْمَعَذَّبَةِ، الْمَحْرُومَةِ مِنَ
الْحَيَاةِ، يَعْرِفُ أَنَّ الْجَهْلَ الْمَعِشَّشَ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا،
هُوَ سِرُّ الْبَلَاءِ^(١) وَأَصْلُ الدَّاءِ^(٢).

لَا يَرْتَابُ^(٣) فِي أَنَّ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ هُوَ الدَّوَاءُ
الشَّافِي لِكُلِّ مَا يُعَانِيهِ الْوَطَنُ مِنَ التَّأَخُّرِ وَالتَّخَلُّفِ،
فَهُوَ الْمَصْبَاحُ الَّذِي يَنْيرُ الْعُقُولَ وَيَقْوِي الْأَفْهَامَ،
يَقْضِي عَلَى الْخُرَافَاتِ، وَيَحْطِّمُ سَيِّئَ الْعَادَاتِ، وَيُبْعَثُ
الْحَرِيَّةَ وَالشَّجَاعَةَ وَاحْتِرَامَ النُّفُوسِ، وَيَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ.

وكَانَ لَهُ مِنْ بَصِيرَتِهِ^(٤) النَّاظِئَةُ، وَتَجَارِبِهِ الْوَاسِعَةُ،
مَا يُعِينُهُ عَلَى الْجِهَادِ، مِنْذُ دَفَعَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى الْكُتَابِ
وَالْكُتُبَةِ، وَمَا عَانَى^(٥) لَدَيْهِمْ مِنَ الْأَذَى الشَّدِيدِ، حَتَّى
نَفَرَ مِنْهُمْ وَهَرَبَ، وَأَبَى^(٦) أَنْ يَعُودَ.

(١) البلاء: المحنة التي تنزل بالمرء (الاختبار).

(٢) الداء: المرض.

(٣) لا يرتاب: لا يشك.

(٤) بصيرته: نفاذ إدراكه.

(٥) عانى: قاسى.

(٦) أبى: رفض.

ثُمَّ تَجَرَّبَتْهُ فِي مَدْرَسَةِ قَصْرِ الْعَيْنَى وَمَآسِيهَا،
وَتَجَرَّبَتْهُ فِي مَدْرَسَةِ أَبِي زَعْبَلٍ، حِينَ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ مِنْ
بَعْضِ الْعُلُومِ شَيْئًا وَحَاوَلَ الْفِرَارَ.

وَكَانَ يَأْسُهُ جَدِيرًا بِأَنْ يُغَيَّرَ مَجْرَى ^(١) حَيَاتِهِ، لَوْلَا
إِنْقَاذُهُ عَلَى يَدِ الْمَعْلَمِ الْوَاعِي، الَّذِي عَرَفَ كَيْفَ يَشْرَحُ لَهُمْ
الْهَنْدَسَةَ وَالْحِسَابَ، فَاَنْطَلَقَ بِقُوَّةٍ، مُحِبًّا مَا كَانَ يَكْرَهُهُ،
حَتَّى بَلَغَ مَرَحَلَةَ التَّفُوقِ، وَاسْتَحَقَّ الْإِعْجَابَ وَالثَّنَاءَ.

يَعْرِفُ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى الْعُلُومِ وَحْدَهَا فِي التَّعْلِيمِ،
لَا يُثْمِرُ الثَّمَرَةَ الْمَرْجُوءَةَ مِنْهُ.

وَلَا بُدَّ مَعَ الْعُلُومِ مِنَ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ؛ لِإِعْدَادِ
النَّاشِئِينَ إِعْدَادًا سَلِيمًا لِلْحَيَاةِ الْجَادَّةِ ^(٢) الْمُسْتَقِيمَةِ.

وَيَرَى أَنَّ يَكُونَ التَّعْلِيمُ شَعْبِيًّا، يُطَلَّبُ لِدَاتِهِ ^(٣)
لَا لِتَخْرِيجِ الْمَوْظُفِينَ وَالْفَنِّيِّينَ، كَمَا كَانَتْ أَغْرَاضُهُ مِنْ

(١) مجرى: طريق.

(٢) الجادة: الحق.

(٣) يطلب التعليم لذاته: يطلب من أجل العلم والتثقيف، لا من أجل وظيفة أو نحوها.

قبلُ، وأنَّ المعلِّمَ الصَّالحَ القادرَ على أداءِ واجباتِهِ،
المستعدَّ بطبيعَتِهِ لهذه المهنةِ الدقيقةِ هُوَ الَّذِي ينهضُ
بالبَلاَدِ.

يعتقدُ بحقٍّ، أنَّ المدرسةَ لا تُؤتَى ثمرُتُها المرجوَّةُ
مِنْهَا معَ استكمالِ مقومَاتِها^(١)، إلَّا إذا ارتقى الشَّعبُ
مَعَهَا، لتسيرَ القافلةُ التعلیمیَّةُ كُلُّهَا متناسقةً^(٢)
الخطو^(٣)، فتبلغَ الهدفَ المنشودَ^(٤).

وعلى هذا الفهمِ الدقيقِ الواسعِ؛ وجَّهَ اهتمامَه إلى
مراحلِ التعلیمِ، وبخاصَّةِ التعلیمِ الابتدائیِّ، الَّذِي
تُبنى على أساسِهِ المراحلُ الأخرى.

تتابعتِ الأحداثُ بعدَ خلعِ الخديو^(٥) إسماعیل
وتوليةِ ابنِهِ توفیق مَكَانَهُ. وزادتِ البلادُ أنیناً^(٦) مِنْ

(١) مقوماتها: أسبابها التي تقوم عليها.

(٢) متناسقة: منظمة – مرتبة.

(٣) الخطو: الخطوات.

(٤) المنشود: المأمول – المرجو.

(٥) خلع الخديو: عزله من الحكم.

(٦) أنیناً: حزناً وألماً.

تَدْخُلِ الْأَجَانِبِ، وَسَوْءِ الْحَالِ، وَفَسَادِ الْإِدَارَةِ.. حَتَّى
اشْتَعَلَتْ^(١) الثَّوْرَةُ الْعُرَابِيَّةُ، تَطَالِبُ بِالْإِصْلَاحِ
وإِنْصَافِ^(٢) الْمَظْلُومِينَ، وَاشْتَرَكَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ
الرَّجَالِ مِنْ ضُبَاطٍ وَغَيْرِ ضُبَاطٍ، وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِيهَا عَلَى
مِباركٍ، لَا بِالْإِنْصِافِ إِلَى الْعُرَابِيِّينَ وَلَا إِلَى تَوْفِيقٍ،
وَلَزِمَ الْحَيَادَ^(٣) بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَنَازِعَيْنِ.

فَقَدْ كَانَ بِطَبْعِهِ هَادِئًا، مُتَمَهِّلًا فِي الْوُصُولِ إِلَى
مُطَالِبِهِ، يَسْعَى إِلَيْهَا فِي تَأَنٍّ^(٤) وَرَفِقٍ، لَا يَمِيلُ إِلَى
الْعُنْفِ وَالْإِنْدِفَاعِ، بَعِيدَ الرُّؤْيَا لِلْأَحْدَاثِ وَنَتَائِجِهَا،
يَبْتَغِدُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الْمَشْكَلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ،
مُفَضِّلًا الْحَيَاةَ الْعَمَلِيَّةَ، يَبْذُلُ فِيهَا أَقْصَى جَهْدِهِ، شَدِيدَ
السُّرُورِ بِمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ نَتَائِجٍ طَيِّبَةٍ.

(١) اشتعلت: اشتدت وانتشرت.

(٢) إنصاف: تحديد الحق لأصحابه.

(٣) الحياد: عدم التحيز لطرف دون الآخر.

(٤) تأن: تعقل، وتمهل.

يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّهُ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِخِدْمَةِ وَطْنِهِ، وَالْعَمَلِ
عَلَى تَرْقِيَّتِهِ، وَلَا شَأْنَ لَهُ كَثِيرًا بِالصَّرَاعَاتِ، الَّتِي
يُضِيعُ بَعْضُ النَّاسِ فِيهَا أَوْقَاتَهُمْ دُونَ فَائِدَةٍ.

كَانَ يَمِيلُ إِلَى الْعُرَابِيِّينَ، وَيُؤَافِقُهُمْ عَلَى فِكْرَتِهِمْ
فِي طَلَبِ حَقُوقِهِمْ، وَيُخَالِفُهُمْ فِي الْوَسِيلَةِ إِلَيْهَا،
وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ لِبَلُوغِهَا فِي هَوَادَةٍ^(١)،
قَبِيلَ أَنْ يَعْطُوا الْخُرُوجَ وَاتِّخَاذَ الْقُوَّةِ سَبِيلًا إِلَى
مَطَالِبِهِمْ.

فَلَمَّا اتَّخَذُوا الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ وَلَا تُؤْمَنُ
عَوَاقِبُهُ^(٢)، لَمْ يَعْذُ يُنَاصِرُهُمْ، وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ مِنْ
الْإِعْتِدَالِ وَالتَّوَسُّطِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ خَصْمًا^(٣) لِأَحَدٍ.

ثُمَّ انْتَهَتْ الْحَرْبُ الْعُرَابِيَّةُ بِاحْتِلَالِ الْإِنْجِلِيزِ لِمِصْرَ،
وَقَدْ تَوَلَّى عَلَى مَبَارَكِ مَنَاصِبَ وَزَارِيَّةٍ عَدِيدَةٍ بَعْدَ خَلْعِ

(١) هَوَادَةٌ: هُدُوءٌ وَبَطْءٌ.

(٢) عَوَاقِبُهُ: نَتَائِجُهُ. وَمُفْرَدُهَا: عَاقِبَةٌ.

(٣) خَصْمًا: عَدُوًّا وَنَدًّا..

الخديو إسماعيل. ولم يتوان^(١) عن خدمة الوطن
حتى وصلته دعوة لا تُردُّ.. دعوة إلى رحلة طويلة
يذهب فيها صاحبها ولا يعود.. وكان ذلك في الرابع
عشر من نوفمبر عام ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعين.
فكان لرحيله أنين وبكاء، اشتركت فيه مصر كلها،
وشيعته بما يليق بعظمة المجاهد المصلح، الذي
تعرف قدره الكبير، ولا يخلو مكان فيها من بصماته
المضيئة، الشاهدة بما أدى لها من جلائل الأعمال.



(١) يتوان: يهمل ويضعف..

أسئلة الفصل الثامن

أجب عن الأسئلة التالية:

- (١) لعلى مبارك رؤية فى التعليم - وضحاها.
- (٢) كيف وجه على مبارك اهتمامه بالتعليم؟
- (٣) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويبها:
 - (أ) أسند إسماعيل إلى على مبارك ديوان المدارس. ()
 - (ب) التعليم يقضى على الخرافات، ويحطم سيئ العادات. ()
 - (ج) اهتم على مبارك بالتعليم الابتدائى فقط. ()
 - (د) نسى على مبارك قريته وظلت محرومة من التعليم. ()
- (٤) لم اشتعلت الثورة العربية؟
- (٥) من تولى الحكم بعد إسماعيل؟ وكيف كان حال البلاد أثناء حكمه؟
- (٦) لماذا لم يشترك على مبارك فى الثورة العربية؟
- (٧) ما موقف على مبارك من العربيين؟
- (٨) بم انتهت الثورة العربية؟

المراجعة العامة

أجب عن الأسئلة التالية:

(١) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة أو علامة (X)

أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

- بلغ عدد أسرة على مبارك حوالى ثلاثمائة. ()
- احترم الناس أسرة على مبارك لغناها وثرائها. ()
- ولد على مبارك فى عام ١٨٢٣ م. ()
- كانت أسرة على مبارك محل تقدير من الحكومة. ()
- ولد على مبارك فى قرية «الكوم والخليج». ()

(٢) لماذا باع الشيخ مبارك كل ما يملك؟

(٣) فكر: من أنا؟

أكمل المربعات بالحروف لتكمل أسماء أصحاب المهن الآتية:

	ا		
	ا		
	ك		
	ض		
	ى		
	ى		

١ - أصلى بالناس.

٢ - أزرع الأرض.

٣ - أدير شئون الناس.

٤ - أفصل بين المتخاصمين.

٥ - أعلم الناس أمور دينهم.

٦ - أتحدث إلى الناس فى الجمع والأعياد.

(٤) لماذا كثر تنقل الشيخ مبارك؟

(٥) إلام انتهى الرحيل بالشيخ مبارك؟

(٦) تحدث عن موقف «عرب السماعنة» من الشيخ مبارك.

(٧) صل كل عبارة في المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
– كافأت الحكومة أسرة الشيخ مبارك فأعطتها	الشرقية
– ولد على مبارك فى قرية برنبال بمديرية	التقدير والاحترام
– أقام الشيخ مبارك عند عرب السماعنة بمديرية	الدقهلية
– نالت أسرة الشيخ مبارك من أهل القرية	قطعة من الأرض تزرعها
– فر أجداد الشيخ مبارك من قرية	برنبال الجديدة
	الكوم والخليج

(٨) ما المظاهر التى جعلت الصبى مسروراً الكاتب؟

(٩) وضح الحقيقة المرة التى ظهرت للصبى عندما ذهب إلى الكتاب.

(١٠) اقرأ الجملة الآتية قراءة جهرية سليمة، ثم اكتبها

مضبوطة بالشكل:

«فلم يجد فى بيت هذا الرجل الهدوء الذى كان ينشده».

(١١) من خلال دراستك للقصة أجب عما يأتى:

■ اذكر موقفاً أعجبك، وبين سبب إعجابك به.

■ اذكر موقفاً تأمل أن يختفى من حياتنا معللاً لما تقول.

(١٢) لم يكن الأب حكيماً، ولا تربوياً في موقفه من ابنه عندما أراد أن يجبره على العودة إلى كتاب الشيخ أبي خضر. وضح ذلك.

(١٣) بيّن سبب كراهية الصبي للكاتب المعلم.

(١٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

■ بنى «عرب السماعنة» مسجداً للشيخ مبارك وجعلوه إماماً لهم. ()

■ كان «عرب السماعنة» يسكنون بيوتاً مشيدة. ()

■ الشيخ «أحمد أبو خضر» يعود أصله إلى

قرية «برنبال». ()

■ كان الشيخ أبو خضر معلماً تربوياً لتلاميذه. ()

■ كان الكاتب المعلم يحسن معاملة الصبي أثناء

خروجهما للعمل. ()

(١٥) ما الرأي الذي استقرت عليه الأسرة عندما أراد عليّ

أن يترك الكاتب المعلم؟ ولماذا؟

(١٦) قبل الصبي العرض الذي عرضه عليه أبوه عندما

رفض العودة إلى الكاتب المعلم. ما ذلك العرض؟

وعلام يدل موقف الصبي منه؟

(١٧) لماذا تعاطف السجان مع الفتى الصغير؟

(١٨) كيف استطاع السجان إنقاذ الفتى الصغير؟

(١٩) ماذا تفعل لو:

(أ) أجبرك والدك على فعل شيء لا تقبله؟

(ب) عملت مع إنسان يقبل الرشوة ليقضى مصالح الناس؟

(ج) عملت مع إنسان نظير مبلغ معين إلا أنه لا يعطيك إياه؟

(٢٠) ما المؤهلات التي جعلت المأمور يعين على مبارك في

الوظيفة الخالية؟

(٢١) ازداد على مبارك قناعة بالعلم وضرورة تحصيله.

علل لذلك.

(٢٢) يقسم المعلم تلاميذ الفصل إلى مجموعات صغيرة،

ثم يكتب على السبورة أسماء عشرة من رواد

الإصلاح، أو القادة السياسيين، أو العلماء البارزين...

ثم يقوم بإزالتها ويطلب من كل مجموعة أن تكتب

قائمة بما يمكن أن يتذكروه والمجموعة الفائزة هي

التي تتذكر أكبر عدد.

(٢٣) يقوم المعلم بتقسيم تلاميذ الفصل إلى خمس مجموعات:

(أ) المجموعة الأولى: تبحث عن الكلمات الجديدة فى الفصل

الأول وتذكر معنى كل كلمة منها.

(ب) المجموعة الثانية: تحدد الفكر الرئيسية فى الفصل الثانى.

(ج) المجموعة الثالثة: تتخير أجمل العبارات مع بيان السبب.

(د) المجموعة الرابعة: تذكر الدروس المستفادة من الفصل الثانى.

(هـ) المجموعة الخامسة: تقوم بتشخيص بعض الشخصيات

فى الفصل الثانى وتجرى حوارًا من خلال موقف من

مواقف هذا الفصل.

(٢٤) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة

(X) أمام غير الصحيحة:

(أ) عندما تقدم على مبارك لناظر المدرسة لتسجيل اسمه

وافق بسرعة. ()

(ب) عندما علم والد على بخبر التحاقه بالمدرسة فرح

فرحًا شديدًا. ()

(ج) اختير على مبارك لمدرسة قصر العينى بالشدة

والتهديد. ()

(٢٥) لماذا فضل على مبارك أن يأكل الجبن والزيتون عندما كان بمدرسة القصر العيني؟

(٢٦) اختر من (أ) ما يناسبها من (ب):

(أ)	(ب)
– كان التلاميذ يكرهون المواد	بفضل المعلم الجليل وطريقته السهلة
– أحب على مبارك الهندسة	لصعوبة طريقة شرح مدرسيهم
– كان على مبارك ممن اختيروا	للخروج من المدرسة
	للداسة بمدرسة المهندسخانة

(٢٧) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

(أ) كانت الدراسة فى البعثة باللغة (الفرنسية – الإنجليزية – الروسية).

(ب) عندما صرف على مبارك مرتبه من البعثة (كان يكفيه فقط – كان يقطع منه لأهله – لم يكفه).

(ج) عندما طُلب من الطلاب مساعدة غيرهم لفهم الدروس (رحبوا بذلك – بخلوا عليهم – طلبوا منهم نقودًا مقابل ذلك).

(٢٨) «لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس»..

اشرح ذلك فى ضوء موقف على مبارك من البعثة.

(٢٩) لماذا لم يحقق على مبارك زيارته لبلاد أوروبا؟ وكيف كانت حاله نتيجة لذلك؟

(٣٠) الكلمات المتقاطعة:

أفقى:

- ١ - الاسم الأول للعالم الجليل.
- ٢ - حيوان ضخم (معكوسة).
- ٣ - قبض على.

٣	٢	١	
			١
			٢
			٣

رأسي:

- ١ - عكس جهل.
- ٢ - لنفى الاسم.
- ٣ - عكس يربط.

(٣١) كون جملاً مستخدماً الكلمات الآتية بشرط اختلاف

معنى الكلمة فى كل جملة:

- أمر:
- طريق:
- باحث:
- حمل:

(٣٢) ما أهم ما تميز به على مبارك من صفات ساعدته في القيام بأكثر من عمل.

(٣٣) «العلم والعمل» سلاحا التقدم. ما رأيك في ذلك في ضوء ما درست من هذه القصة؟

(٣٤) **كلمة السر:** بعد أن تتعرف على ما يُطلب منك سوف تحصل على كلمة السر.

ك	ب	ل	ع	ن	ا
ر	ث	ن	ا	ى	ظ
ل	ب	ى	ر	ا	ر
ك	م	ب	ا	ر	م

(أ) عكس «قليل».

(ب) مكان مولد العالم الجليل.

(ج) وزير في الماضي.

(د) والدة.

(٣٥) ما أثر اختيار إسماعيل للعالم الجليل على مبارك على المشروعات والأعمال؟

(٣٦) ما موقف على مبارك من الثورة العرابية؟ ولماذا؟

(٣٧) أكمل العبارة التالية بالكلمات التي بين القوسين:

(خلع - وزارية - دعوة)

«وقد تولى على مبارك مناصب عديدة، بعد

..... الخديو إسماعيل. ولم يتوان عن خدمة الوطن

حتى وصلته لا ترد».

(٣٨) «الرجل الناجح الذى يتمهل فى الوصول إلى مطالبه».

(ا) من صاحب هذا الرأى؟

(ب) ما أثر هذا الرأى على صاحبه تجاه الثورة العرابية؟

(٣٩) بالرغم من عرض على مبارك رأيه على العرابيين إلا

أنه لم يناصرهم لأن ما نفذوه قد تعارض مع رأيه.

تخيل نفسك أمام نفس الموقف. فماذا كنت تفعل. اعرض

بعض الحلول الأخرى التى تراها غير الموقف الذى نفذه

على مبارك.

(٤٠) تصور أنه قد دار حوار بين على مبارك وواحد من

العرابيين.. أجر هذا الحوار.

(٤١) طلب منك المدرس أن تكتب موضوعاً فيه رثاء لفقد

العالم الجليل على مبارك. فماذا تقول؟



(٤٢) اللعب مع المعلومات:

(العالم - الجليل - على - وزير التعليم).

* استخدم كل كلمة من هذه الكلمات في جمل مفيدة تعطى

معلومات عن شخصيات مشهورة مرت في تاريخنا العظيم.

مثال: العالم: العالم أحمد زويل من أعظم العلماء المصريين

في مجال الذرة.

الجليل:

.....

(٤٣) استخدم مرئية ثابتة على حرف T لإبراز أهم الأعمال

والأدوار البارزة لعلی مبارك.

واستخدم مرئية ثابتة على حرف C لتطور مراحل حياة

هذا العالم الجليل.



المحتويات

٣	تقديم
٧	الفصل الأول: عائلة المشايخ
١٧	الفصل الثاني: عزة نفس وطموح مبكر
٣٥	الفصل الثالث: السّجين المظلوم
٤٣	الفصل الرابع: سرٌّ غامض
٦١	الفصل الخامس: في فرنسا
٧٣	الفصل السادس: وزير التربية والتعليم
٧٩	الفصل السابع: صعاب وعقبات
٩٣	الفصل الثامن: أبو التعليم
١٠١	المراجعة العامة



رقم الكتاب	مقاس الورق	ورق المتن	ورق الغلاف	ألوان الكتاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الملازم	مقاس الكتاب
٧٦/١٠/١/٣٣/٦/٧٨	$\frac{1}{16} \times 23 \times 9.4$ سم	٧٠ جرام	١٨٠ جم كوشيه	المتن والغلاف ٤ لون	١١٦ صفحة بالغلاف	٧ ملازم	22.5×15.25 سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر

رقم الإيداع: ٨٦٩٠ / ٢٠٢٠

العام الدراسي: ٢٠٢٠ / ٢٠٢١ م



حقوق الطبع والنشر © محفوظة للناشر